سلسلة العمارة الإسلامية فى الجزيرة العربية

الجزء الرابع

الأسبلة فى العمارة الإسلامية بمكـة المكرمة والمدينة المنورة

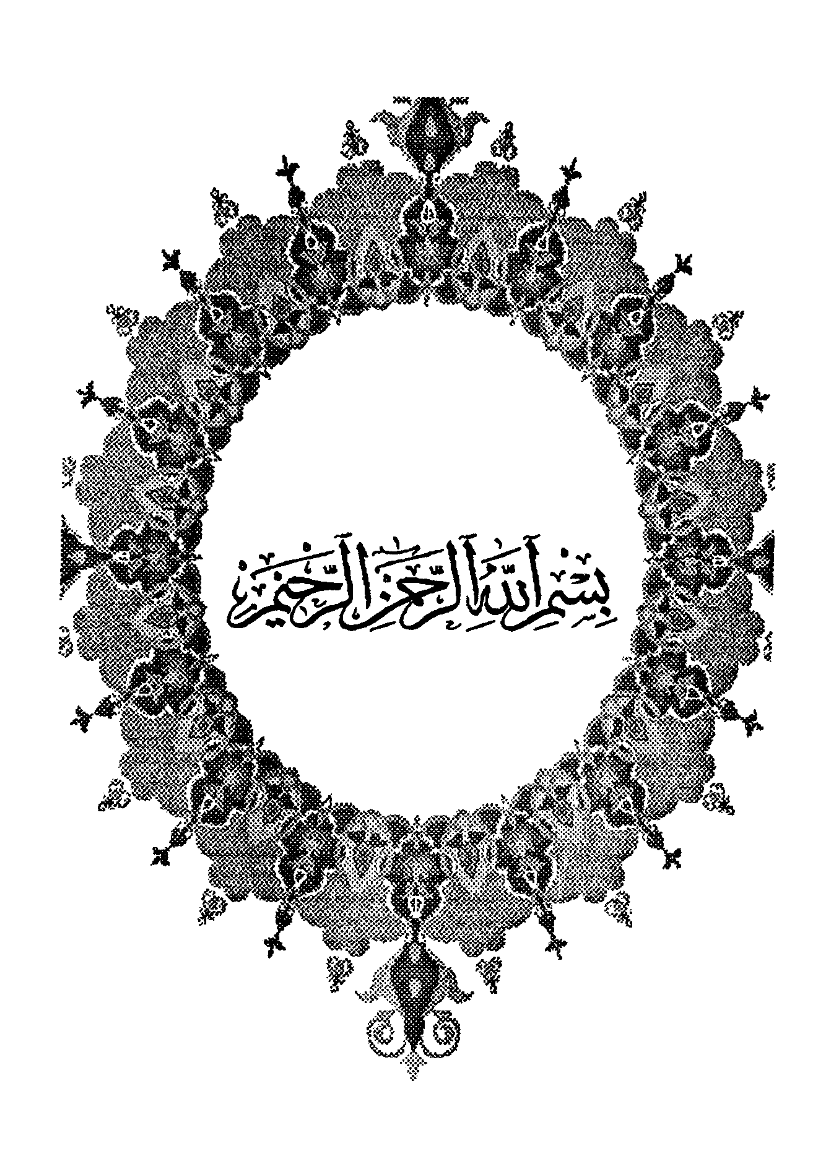
« دراسة تاريخية آثارية »

تأليف

الدكتور / محمد حمزة إسماعيل الحداد
أستاذ العمارة والآثار والحضارة الإسلامية
كلية الآثار ـ جامعة القاهرة

الناشر
مكتبة زهراء الشرق
١١٦ شارع محمد فريد القاهرة
تليفون : ٣٩٢٩١٩٢

اسم الكتـــاب : الأسبلة في العمارة الإسلامية بمكة المكرمة و المدينة المنورة
اسم المـؤلف :ا. د/ محمد حمزة إسماعيل الحداد
رقم الطبـعة : الأولى
السنـــــة : ٢٠٠٤
رقــم الإيداع : ٢٠٠٥٢
الترقيم الدولي : I.S.B.N.
977-314 -228-0
اسم النـــاشر : مكتبة زهراء الشرق
العنـــوان : ١١٦ شارع محمد فريد
البــــلد : جمهورية مصر العربية
المحافظـــة : القـــاهرة
التـلـيفون : ٠٠٢٠٢٣٩٢٩١٩٢
فـــاكس : ٠٠٢٠٢٣٩٣٣٩٠٩
المحمـــول : ٠١٢٣١٧٧٥١٠


بسم الله الرحمن الرحيم

المحتوى

الموضوع	الصفحة

مقدمة

تعد الأسبلة فرعًا مهمًا من أفرع العمائر المدنية فى العمارة الإسلامية ويندرج ذلك الفرع تحت ما يمكن أن يطلق عليه اصطلاحًا اسم (العمائر أو المنشآت الخيرية) .

وقبل أن نحدد مدلولد العمائر والمنشآت الخيرية وأنواعها ينبغى أن نشير أولاً إلى قضية هامة ألا وهى : قضية اختلاف الآراء حول تفسير مدلول لفظة السبيل وأصل اشتقاقها من جهة ، وارتباطها بنوع خاص معروف وشائع ـ وهو أسبلة الماء ـ من جهة ثانية .

أما من حيث مدلول اللفظة وأصل اشتقاقها فيرى البعض أنها مشتقة من أسبلة الماء بمعنى صبه وأسبل المطر بمعنى هطل[١] ، بينما يرى البعض الآخر أن هذه الأسبلة اشتقت تسميتها من ابن السبيل أى الطريق[٢] .

وعلى ضوء هذا التفسير انحصرت لفظة السبيل وصارت اصطلاحًا على نوع خاص من المنشآت المائية ، وهو المعروف والشائع باسم السبيل أو السقاية ـ وهذه التسمية الأخيرة شائعة فى الغرب الإسلامى ـ ولم يقف الأمر عند ذلك الحد فحسب ، بل وصل الأمر إلى القول أن تسمية الكتاب بمكتب السبيل إنما يرجع إلى بنائه أعلى السبيل أو لارتباطه بهذا الموضع[٣] .

والحق أن لفظة السبيل لم يكن يقصد بها ، خلال العصور الوسطى الإسلامية ذلك المبنى المخصص لشرب الماء فحسب ، كما هو شائع ومعروف ، ومن جهة ثانية فإن هناك نماذج كثيرة من الكتاتيب لا تعلو أسبلة ، ومع ذلك عرفت فى وثائق الوقف المختلفة ، فضلا عن المصادر التاريخية ، وبصفة خاصة كتب التاريخ المحلى والخطط والرحالة بمكتب السبيل[٤] .

وفى ضوء ذلك يمكن القول أن لفظة السبيل كانت اصطلاحًا مرتبطًا بالعديد من الأبنية التى وقفت سبيلاً لله تعالى وذلك رغبة فى التقرب إليه عز وجل ، وأملا فى ثواب الآخرة ، ومن هذه الأبنية ما خصص لتوفير المياه كل يوم وعلى مدار العام كله للإنسان والحيوان كالأسبلة (السقايات أو سقاخانة وفق المصطلح

الفارسى) وأحواض السبيل (أحواض سقى الدواب)، ومنها ما خصص لتعليم الأيتام والفقراء كمكاتب السبيل (الكتاب أو كتابخانة وفق المصطلح الفارسى) ، ومنها ما خصص لإقامة الغرباء والفقراء كخانات السبيل ، ومنها ما خصص لطحن الغلال كطاحون السبيل وغير ذلك .

هذا ولم ترتبط هذه اللفظة بتلك الأبنية فحسب ، وإنما ارتبطت أيضًا بالعديد من أوجه الأنشطة الخيرية الأخرى ، ومن بينها على سبيل المثال وليس الحصر ، المصاحف المسبلة والتوابيت المسبلة ، والسواقى المسبلة والترب والمدافن المسبلة وغير ذلك مما ورد فى وثائق الوقف والمصادر التاريخية المختلفة[٥] .

ونضيف على ما تقدم فنذكر أن لفظة السبيل عرف بها الماء أيضًا فقيل له «الماء المسبل أى المجعول فى سبيل الله »[٦]، كذلك هناك المال المسبل ـ أى الموقوف فى سبيل الله تعالى[٧] ـ وغير ذلك .

ومما له دلالته فى هذا الصدد أن هذه الأبنية التى وقفت وخصصت لتوفير المياه العذبة لينتفع بها فى سقى الناس كل يوم وعلى مدار العام كله ، تعد الأبنية الخيرية الوحيدة التى ظل لفظ السبيل ملتصقًا بها حتى طغى على ما عداه من مصطلحات أخرى ، ولا سيما خلال العصر المملوكى ، ويؤكد ذلك الفاسى بقوله « بمكة وحرمها عدة سقايات وتسمى أيضًا السبل بسين مهملة وباء موحدة مضمومتين جمع سبيل وشهرتها عند الناس بالسبيل أكثر وهى كثيرة ، إلا أن بعضها صار لا يعرف لخرابه وبعضها معروف مع الخراب »[٨] .

ونضيف على ذلك فنذكر أن هذه اللفظة لا تزال عالقة فى أذهان الناس خاصتهم وعامتهم إلى اليوم ، ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى استمرار هذا النوع من الأنشطة الاجتماعية فى القيام بوظيفته الخيرية خير قيام ، وهو الأمر الذى كان من نتيجته ابتكار أشكال وأنماط من أسبلة الماء هذه بما يتناسب مع التقنيات الحديثة والمعاصرة ، وهو ما نشاهده فى العديد من الدول العربية ومنها على سبيل المثال كل من مصر والمملكة العربية السعودية والكويت .

أما ما عداها من الأبنية أو المنشآت الخيرية الأخرى السابق الإشارة إليها ، فلم يعد الناس ـ بما فيهم من بعض المتخصصين ـ يذكرونها سوى باسمها المجرد

المرتبط بوظيفتها فحسب لا بدلالتها الخيرية التى كانت تعرف بها حتى أوائل القرن ١٤هـ/ ٢٠م مثل المكتب أو الكتاب بدلاً من مكتب السبيل أو كتاب السبيل ، والطاحونة بدلا من طاحون السبيل ، وحوض الدواب أو حوض سقى الدواب بدلا من حوض السبيل والخان بدلا من خان السبيل وغير ذلك .

ومهما يكن من أمر فإن هذه العمائر أو المنشآت الخيرية قد نهضت بدور بارز جليل الشأن فى خدمة المجتمعات الإسلامية المختلفة خلال العصور المتعاقبة وحتى أوائل القرن ١٤هـ/ ٢٠م .

غير أن ما يعنينا من هذه العمائر الخيرية فى هذا المقام ، هو أسبلة الماء ، وهى التى كانت تعرف بالسقايات خلال القرون الخمسة الأولى بعد الهجرة ، ثم انتشرت واشتهرت باسم الأسبلة منذ أواخر القرن ٥هـ / ١١م ولا سيما فى الشام ومصر والجزيرة العربية ، أما أقطار الغرب الإسلامى فقد ساد وانتشر فيها مصطلح السقاية وصار علمًا ـ أى ذلك المصطلح ـ على ذلك النوع من الأبنية أو المنشآت الخيرية هناك .

ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل ظهرت بضعة مترادفات أخرى ، ولا سيما فى الجزيرة العربية والشام ومصر ، ومنها المحسنة والمعروف ، والأول منها انتشر فى اليمن خاصة[٩] ، بينما عرف المصطلح الآخر فى الشام والحجاز ومصر ، ورغم أن هذه المترادفات تؤكد الدلالة الخيرية وتتطابق معها فى ذات الوقت ، إلا أنها لم تلق من الذيوع والانتشار ما لقيه مصطلح السبيل فى هذه الأقطار العربية الإسلامية الثلاثة ، ومن ثم اقتصر ورود هذان المصطلحان وغيرهما على المصادر التاريخية فضلاً عن بعض النقوش الإنشائية التى لا تزال باقية حتى الآن[١٠] .

هذا وقد حظيت هذه الأسبلة بالعناية الفائقة سواء من حيث اختيار موقعها ، أو من حيث عمارتها ، أو من حيث حليتها وكسوتها ، أو من حيث الأوقاف الكثيرة المغلة التى أوقفت عليها كى يصرف من ريعها المبرور على أوجه الصرف المختلفة لاستمرار منفعتها ودوامها .

ويمكن من خلال ما ورد فى المصادر التاريخية ، وبصفة خاصة كتب التاريخ المحلى للمدينتين المقدستين بالحجاز من جهة ومشاهدات الرحالة المسلمين وكتاباتهم من جهة ثانية ، فضلا عن الوثائق وكتب الحوليات وكتب التراجم ، وبعض الأدلة المادية الآثارية الباقية أن نتتبع السبل فى المدينتين المقدستين من حيث نشأتها ومراحل تطورها عبر العصور التاريخية المتعاقبة .

الفصل الأول

الدراسة التاريخية

تمهيـد :

من المعروف أن الحجاز يقع فى المنطقة الصحراوية فمناخه جاف وأمطاره نادرة ومياهه قليلة ، وليست فيه أنهار دائمة الجريان تكفى مياهها للأرواء والزراعة ، ولكن فيه عدداً من الوديان التى تجرى فيها المياه على أثر سقوط الأمطار ، وبذلك تكون مياهها مؤقتة ولا تدوم طويلا وكثيراً ما تجرى فيها المياه سيولا قوية جارفة تكتسح ما يقف أمامها وبذلك لا تفيد فى الزراعة .

غير أن انخفاض قيعان الوديان كثيراً ما يجعلها رطبة فتيسر الإنبات ، وقد تساعد على الزراعة ، وعلى ذلك كان أهل الحجاز يعتمدون بالدرجة الأولى على مياه الأمطار وعلى المياه الجوفية التى قد تكون قرب سطح الأرض أو تظهر على ذلك السطح .

وقد أوردت المصادر المختلفة الكثير من المواضع التى توجد فيها المياه ومصادرها المنتشرة فى الحجاز ، وحسبنا أن نشير إلى ما ذكره كل من : البكرى فى معجمه وعرام بن الأصبغ فى كتابه جبال تهامة وياقوت الحموى فى معجمه والأزرقى فى أخبار مكة ومثله الفاكهى ، والسمهودى فى وفاء الوفا وغيرهم من المؤرخين والجغرافيين والرحالة ، من الآبار والعيون والينابيع والغدران والأوشال والأحباس والمصانع والزلف والفقير والمماسك وغير ذلك .

كما أشارت هذه المصادر وغيرها مما لم نذكرها ، لضيق المقام ، إلى تلك التدابير التى اتخذت لتنظيم أمور المياه فى بعض المدن الحجازية ، وبصفة خاصة مكة والمدينة ، بما فى ذلك السيطرة على الفيضانات والسيول وحفر الآبار والعيون ، فضلا عن وضع تشريعات خاصة بتنظيم مجرى المياه فى الوديان وما يتفرع منها ، وهو الأمر الذى يستحق أن تفرد له دراسة مستقلة مطولة .

ولا ريب فى أن الطريق بين مكة والمدينة كان هو أهم الطرق التى تخترق الحجاز فى العصور الإسلامية وذلك لأنه كان يصل بين هاتين المدينتين المقدستين، مما كان على العدد الكبير من الحجاج أن يسلكوه سنويا ، بالإضافة إلى من كان يقوم بزيارة المدينتين لأغراض دينية أو تجارية أو خاصة . ومما لا شك فيه

أن كثيراً مما كانوا يسلكونه هم من العلماء أو الرحالة أو ممن يحبون زيارة الأماكن المأثورة التى مر بها الرسول ﷺ أو أقام فيها. ولما كان الرسول ﷺ قد سلك هذا الطريق فى هجرته وحجه ومر ببعضه فى كثير من غزواته ، فلا بد أن تكون صلة الرسول ﷺ به مما يثير اهتمام عدد كبير من الناس الذين يتشوقون إلى الإطلاع شخصيا على الأماكن التى مر أو صلى أو أقام بها الرسول ﷺ أو كانت لها علاقة به .

وقد أدت الأهمية الدينية لهذا الطريق إلى تأكيد كثير ممن كتبوا عن هذا الطريق على الأماكن التى لها صلة بالرسول ﷺ ، وعلى ثبات أسماء كثير من هذه الأماكن ، وهو الأمر الذى يولد صعوبة فى تتبع التطورات التى حدثت على كل من هذه الأماكن عبر العصور المتعاقبة ، على أن مما يخفف أثر هذه الصعوبة هو أن معظم محطات الطريق تقوم على الآبار أو فى بطون الأودية وفى المسالك الميسرة، أى أن قيامها مستند على عوامل جغرافية فى هذه المنطقة الجرداء نسبيا والتى لم تحدث فيها عبر العصور الإسلامية الطويلة تبدلات أساسية . وبالنظر لما للحج من مكانة كبيرة باعتباره أحد أركان الإسلام الخمسة ، ولما له من أثر فى الدعاية ، فقد حرص الخلفاء وغيرهم على الاهتمام به وبتوفير الراحة للحجاج تدعيما للدين الذى هو أساس المجتمع والدولة أو لأغراض سياسية ، فكان مما عنوا به الطريق التى يسلكها الحجاج(١١) .

العصر الإسلامى المبكر :

ليس هناك من شك فى أن توفير الماء للمسلمين من أهالى المدينتين المقدستين والمقيمين فيهما فضلا عن المسافرين والغرباء والوافدين وأبناء السبيل كان من أهم الأعمال التى حرص ولاة الأمر على القيام بها خير قيام رغبة فى التقرب إلى الله عز وجل وأملا فى ثواب الآخرة وتأسيا بسنة النبى ﷺ .

هذاولم يقتصر الإهتمام بتوفير الماء على الطريق بين مكة والمدينة ـ لأهميته السابق الإشارة إليها ـ فحسب ، بل امتد فشمل أيضاً داخل المدينتين المقدستين ، ومن ذلك ما ذكره بن شبه عن بعض الرواة من أن عثمان بن عفان (رضى الله عنه) قد اشترى بئر رومه بالعقيق ، وأن الرسول ﷺ قال له : اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك .

وفى رواية أخرى أن عثمان (رضى الله عنه) قد اشتراها وهو خليفة بثلاثين ألف درهم وقيل أربعين ألف درهم من مال المسلمين وتصدق بها عليهم ، وكان الناس لا يشربون منها إلا بثمن فجعلها عثمان (رضى الله عنه) للفقير والغنى وابن السبيل ، ومن الغريب أنه عندما حوصر عثمان (رضى الله عنه) فى بيته أثناء الفتنة سنة ٣٥هـ/ ٦٥٥م طلب أن يشرب منها فمنعوه من ذلك(١٢).

وكان بالمدينة المنورة أيضًا عدة آبار يستقى منها ، ومن بينها بئر بضاعة وبئر حاء ، وقد تصدق بهذا البئر الأخير أبو طلحة الأنصارى (رضى الله عنه) ومنها بئر السقيا وبئر الأعواف وبئر أنس وبئر جاسوم وبئر الأغرس وغير ذلك(١٣).

أما أهل مكة فقد كان اعتمادهم فى الحصول على حاجاتهم من الماء على الآبار بالدرجة الأولى ، ومنها ما ذكره المؤرخون عن الآبار التى كانت قبل الإسلام، وترجع إلى قبل زمن رئاسة قصى بن كلاب ، وعددها ٢٨ بئر ذكروا أسمائها ومنها ستة خارج الحرم ، أما الباقية فكلها فى داخل الحرم وأكثرها فى بطن مكة ، أما الآبار التى أنشئت بعد الإسلام فقد ذكر منها فى المصادر المبكرة نحو ١٦ بئراً(١٤) .

ومن الإشارات التاريخية المهمة ما ورد فى بعض المصادر عن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) من أنه قد وضع فى طريق السبيل بين مكة والمدينة ما يصلح من ينقطع به ويحمل من ماء إلى ماء . ويضيف ابن سعد فى طبقاته فيذكر «قال: أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثنى كثير بن عبد الله المزنى عن أبيه عن جده أن عمر بن الخطاب إستأذنه أهل الطريق ينون ما بين مكة والمدينة فأذن لهم وقال : ابن السبيل أحق بالماء والظل »(١٥). وتضيف المصادر اللاحقة تفاصيل أكثر أهمية عن ذات الموضوع ومنها ما رواه الواقدى عن كثير ابن عبد الله المزنى عن جده ، أنه كان ممن قدم مع عمر إلى مكة المكرمة للعمرة سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م « فمر ـ أى عمر رضى الله عنه ـ بالطريق فكلمه أهل المياه أن يبتنوا منازل ما بين مكة والمدينة ولم يكن قبل ذلك بناء ، فأذن لهم وشرط عليهم أن ابن السبيل أحق بالظل والماء »(١٦).

مما سبق يتضح أنه فى خلال عصر الخلفاء الراشدين ، وبصفة خاصة عهد كل من عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان (رضى الله عنهما) ، لم يقتصر الاهتمام بتوفير المياه على شراء الآبار ووقفها والتصدق بها فحسب ، بل شمل ذلك أيضًا إقامة أبنية خصصت لذلك الغرض وهى التى عرفت بالسقايات ويستدل على ذلك من خلال ما رواه الإمام الشافعى (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) يسنده عن جعفر بن محمد عن أبيه « أنه كان يشرب من سقايات كان يضعها الناس بين مكة والمدينة»[١٧].

ـ العصر الأموى (٤١ ـ ١٣٢هـ/ ٦٦١ ـ ٧٥٠م) :

إستمرت العناية بتوفير المياه فى المدينتين المقدستين والطريق الذى يربط بينهما خلال ذلك العصر ؛ إذ حرص الخلفاء والولاة ومن نهج نهجهم على حفر الآبار والبرك وبناء العيون والقنوات والأحواض من جهة وإصلاح وتجديد الآبار السابقة من جهة ثانية .

ومن بين هذه وتلك حسبنا أن نشير إلى بضعة نماذج ومنها فى مكة المكرمة كل من : عيون الخليفة معاوية العشرة وكان لكل عين منها مشرعة (وهى مورد الشاربة التى يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون) ، وعين خالد القسرى فى خلافة سليمان بن عبد الملك ، وقام خالد أيضًا بإنشاء أحواض عند باب الصفا بالمسجد الحرام ، ومن الآبار والبرك المكية فى ذلك العصر بئر عكرمة وبئر الشركاء وبئر الياقوتة وبئر عمر وبئر الصلاصل وبئر التجار وبركة الثقبة ، فضلا عن القنى والبرك التى أمربها الخليفة هشام بن عبد الملك بطريق مكة لتوفير المياه لحجاج بيت الله الحرام .

أما المدينة المنورة فمن النماذج الأموية بها كل من : قناة الخليفة معاوية والعين الزرقاء وأحواض مروان بن الحكم عامل معاوية وفوارة عمر بن عبد العزيز عامل الوليد وسقاية هشام بن إسماعيل المخزومى وغير ذلك[١٨].

وازداد الإهتمام بعمارة السقايات أو الأسبلة فى المدينتين المقدستين خلال

العصور التاريخية اللاحقة وهو ما يستدل عليه من خلال ما ورد فى المصادر التاريخية المعاصرة ، وحسبنا أن نستشهد فى هذا المقام بما ذكره كل من : الفاكهى بقوله « وبمكة فى فجاجها وشعابها من باب المسجد إلى منى ونواحيها ومسجد التنعيم نحو مائة سقاية منها لأبى أحمد الموفق بالله ثلاث سقايات فى ظهر جبل العيرة ، ومنها سقايتان لابن أبى الشوارب ، ومنها سقاية للحارث بن عيسى أبى غانم ، ومنها لأبى سهل محمد بن أحمد سقايتان ، ومنها سقاية للسلطان عند مسجد الشجرة وأخرى عند مسجد عائشة ـ رضى الله عنها ـ بالتنعيم وسائر ذلك للغرباء ولغيرهم من أهل مكة ».

والفاسى بقوله : أن بمكة المكرمة « آبار كثيرةغالبها مسبلة وسقايات وبرك»[١٩] . ويؤكد ذلك فى العصر العثمانى الرحالة ابن عبد السلام الدرعى المغربى بقوله «وبها ـ أى بمكة المكرمة ـ آبار كثيرة غالبها مسبل وبرك مسبلة منها المعروفة بالشامى والمصرى وهما فى الغاية من الكبر والاتقان ... »[٢٠] .

ويمكن فى ضوء المعطيات المتوافرة فى المصادر التاريخية ، فضلا عن بعض الأدلة الآثارية الباقية والمعروفة حتى الآن ، أن نتناول بالدراسة أهم وأشهر السبل فى مكة المكرمة والمدينة المنورة وفق ترتيبها الزمنى وتسلسلها التاريخى على أن يراعى أن يغطى ذلك غالبية العصور التاريخية المتعاقبة .

المبحث الأول : السُبل (السقايات) فى مكة المكرمة :

١ ـ العصر العباسي :

تتصدر سقاية العباس بن عبد المطلب (رضى الله عنه) قائمة السُبل المكية ، وكانت تقع فى المسافة بين بئر زمزم ـ من جهة المشرق ـ والكعبة ، وقد عمرت في خلافة المهدى العباسى (١٥٨ـ ١٦٩ هـ / ٧٧٥ ـ ٧٨٦م) ثم جرت عليها مراحل من الإصلاح والتجديد والصيانة والتغيير ، ومنها ما حدث فى سنة ٢٠٠هـ/ ٨١٥م بأمر حسين بن حسن العلوى ، وفى سنة ٢٢٩هـ/ ٨٤٣م بأمر الخليفة العباسى الواثق بالله (٢٢٧ـ٢٣٢هـ/ ٨٤٢ـ٨٤٧م) ، وفى سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م بأمر السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون ، (ت٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) وكذلك جرت فيها عمارة سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م[٢١]. أما عن عمارة هذه السقاية وطرازها فسوف نتطرق إليها فى الدراسة الآثارية فيما بعد بمشيئة الله تعالى .

ومن الأمثلة التالية حسبنا أن نشير إلى كل من : السقاية التى بناها بغا الكبير أبى موسى فى النصف الأول من القرن ٣هـ/ ٩م بالقرب من بئر أبى موسى وبنى إلى جوارها جنابذ يسقى فيها الماء[٢] .

وفى سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م أمر الخليفة العباسى المقتدر بالله (٢٩٥ـ٣٢٠هـ/ ٩٠٨ـ٩٣٢م) ووالدته بعمارة سبيل الجوخى[٢٣] .

٢ ـ العصر الأيوبى (٥٦٧ـ٦٤٨هـ/ ١١٧١ـ١٢٥٠م) والأسرات الحاكمة المعاصرة له :

ومن الأسبلة التى أنشئت خلال ذلك العصر السبيل الذى أنشأه فخر الدين عثمان بن على الزنجيلى ، وإذا كانت المصادر لم تحدد تاريخ إنشائه ، إلا أنه من المرجّح أنه أنشئ قبل وفاة صاحبه سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م وقد جدد هذا السبيل فى سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م كما يستدل من النقس الإنشائى الذى شاهده الفاسى، إلا أنه لم يحدد اسم من أمر بهذا التجديد ، بل وناقض نفسه حين نسب ذلك

التجديد إلى الزنجيلى (ورد عند الفاسى الزنجبيلى) بقوله « وتاريخ عمارة الزنجبيلى له سنة عشرين وستمائة كذا فى حجر فيه ـ أى نقش إنشاء ـ وهى عمارة تجديد لأن الزنجبيلى توفى قبل ذلك على ما ذكر ابن شاكر الكتبى بسبع وثلاثين سنة»[٢٤] وبالتالى كيف يكون الزنجيلى هو المنشئ والمجدد فى ذات الوقت .

وتكرر نفس الخطأ فى دراسة حديثه إذ جاء بها ما نصه « وفى سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م عمر الزنجبيلى سبيلا نسب إليه »[٢٥] وبالتالى كيف ينسب إليه ، وهو متوفى قبل ذلك التاريخ بسبع وثلاثين سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) .

ويضيف الفاسى فيذكر أن هذا السبيل جدده أبى راشد فى سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م ، ولذلك نسب إليه فقيل له سبيل أبى راشد ، ثم فى سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م جدده شخص يقال له المكين ولذلك نسب إليه فقيل له سبيل المكين[٢٦] . كذلك حرص بعض ولاة الأمر من الحكام المعاصرين لبنى أيوب على إنشاء الأسبلة بمكة المكرمة ومنها السبيل الذى أمر بإنشائه الملك مظفر الدين صاحب اربل مقابل الحرم عند باب بازان فى سنة ٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م وجعله ـ هو والميضأة ـ مورداً لأهل حرم الله والحاج وذلك ابتغاء مرضات الله وطلبًا للثواب وإدخاراً ليوم الحساب كما يستدل من نقشه الإنشائى الذى قام بنشره ودراسته الفعر ضمن رسالته للماجستير[٢٧] .

ولعل هذا النقش يعزز ما ورد فى ترجمة صاحب أربل (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) من أنه كان « يقيم فى كل سنة سبيلا للحاج ويسير معه جميع ما تدعو حاجة المسافر إليه فى الطريق وله بمكة حرسها الله آثار جميلة وبعضها باق إلى الآن ـ أى حتى الربع الأخير من القرن ٧هـ/ ١٣م ـ ... « وفى قول آخر » وله بمكة مآثر حسنة مثل إجراء الماء بعين عرفة وإنشاء مصانع للماء بجبل عرفة»[٢٨] .

ومن عصر بنى رسول سبيل الملك المنصور صاحب اليمن وهو مشهور ، وسبيل العفيف الهبى سفير الملك الأشرف صاحب اليمن[٢٩] .

٣ ـ العصر المملوكى (٦٤٨ـ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ـ١٥١٧م) :

أنشئت خلال ذلك العصر سُبل عديدة من بينها سبيل السلطان الناصر حسن

بن الناصر محمد بن قلاوون بالقرب من باب إبراهيم فى سنة ٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م أو ٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م وسبيل أخت السلطان حسن بطريق منى المعروف بسبيل الست فى سنة ٧٦١هـ/ ١٣٥٩م .

وسبيل أم الحسين بنت قاضى مكة شهاب الدين الطبرى بالمسعى عند موضع الجزارين والخرازين فى سنة ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م .

وسبيل أمير مكة عجلان (ت٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م) بن رميثه بن أبى نمى بالمروة، ومن المرجّح أنه أنشئ قبل أن يعتزل الحكم لابنه أحمداً عام ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م ، ثم أمر بتجديده فى سنة ٨٤٧هـ/ ١٤٤٣م الأمير تنم الذى حرص على استمرار ودوام المنفعة بهذا السبيل فوقف عليه أحد البيوت المجاورة للصرف من غلة كرائه على هذا السبيل .

وسبيل أمير مكة حسن بن عجلان (ت٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م) برباطه بأعلى مكة، وسبيل ثان له بمنى وكلاهما أنشئا فى سنة ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م .

وقام مقبل السلطانى بن عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بسلطان غلة الرومى البغدادى ثم المكى (ت ٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م) بوقف سبيلا له بمنى فى سنة ٨١٣هـ/ ١٤١٠م وأوقف عليه داراً علوه وأخرى إلى جانبه .

وسبيل السلطان المملوكى المؤيد شيخ (٨١٥ـ٨٢٤هـ/ ١٤١٢ـ١٤٢١م) بالحرم المكى الشريف فى سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م ، وسبيل القاضى عبد الباسط بالمعلاة على يمين النازل من الحجون فى سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م وسبيل ثان له بجانب مدرسته التى كانت ملاصقة للحرم من الناحية الشمالية ، حيث الباب المعروف بباب العجلة ، والتى كان الفراغ من عمارتها ، وبالتالى عمارة السبيل ، فى سنة ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م (أشكال ١ ـ ٤ ، ١١) .

وسبيل الأمير مقبل القديدى بالمعلاة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م كذلك قام سعيد جبروه مولى السيد عجلان بن رميثة قبل وفاته عام ٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م بإنشاء سبيل خارج حديقته العظيمة بالأبطح .

وسبيل الخواجا شهاب الدين أحمد بن على الكواز البصرى بالبستان الذى اشتراه بالأبطح من ورثة سعيد جبروه فى سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م .

وقد أوصى الخواجا أبو الخير بن محمد بن نعيم الجوجرى المصرى فى مرض موته (ت٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م) بألف دينار ، وأن يشترى بها « داراً » وتوقف عنه على سبيل يسبل عنه وعلى بضعة نفر يقرؤون له فى كل يوم جزءاً من القرآن الكريم ويطوفون له فى كل يوم ، وكان موضع هذه الدار التى تم شراؤها عند باب سويقة .

وعندما نزل الخواجا عز الدين عبد العزيز بن يوسف بن عبد العزيز السلطانى (ت ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م) ، مكة المكرمة وسكنها قام بشراء دارين بحارة الشيبيين بالسويقة وبنى بأحدهما سبيلا وأوقف عليه الدار التى هى علو السبيل والدار التى بجانبها .

وقام شهاب الدين أحمد بن على بن مسعود العمرى القائد (ت ٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م) بإنشاء سبيل بدار له بالمعلاة وأوقفها ــ أى الدار ــ عليه .

كذلك قام المؤرخ تقى الدين ابن فهد (ت ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م) بإنشاء سبيل له بالسويقة فى سنة ٨٤٧هـ/ ١٤٤٣م ، وقد أنشد فيه الإمام الأديب قطب الدين أبو الخير بن عبد القوى المكى فى يوم الخميس ١٩ شعبان ٨٤٧هـ/ ١٢ ديسمبر ١٤٤٣م ومرة أخرى فى يوم الأربعاء ٣ رمضان من السنة نفسها قوله :

سل سبيلا إلى سبيل ابن فهد　　واشرب منه سائغا سلسبيلاً

وسل الله للمسبل عفوا　　وجزاه الاله أعظم سؤلاً

وأحمد الله ثم صل على من　　جاء للناس بالوحى منذراً ورسولاً

وفى سنة ٨٤٧هـ/ ١٤٤٣م أنشئت ثلاثة سبل بمنى أحدها لعبد الغنى القيانى وشريكه محمد بن عبد الغنى المعروف بابن كرسون ، والثانى لعبد الكريم ابن محمد بن أحمد الجدى ، والثالث لفرج الشرابى ولم يكمل الثالث فى هذه السنة .

وفى سنة ٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م أنشأ الخواجا شهاب الدين أحمد الشهير بالعاقل سبيلاً ببيت بناه بسوق الجمال بمنى ، وسّبل فيه الماء أيام التشريق .

وفى نفس السنة ـ أى ٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م ـ أنشأ موسى بن عبد السلام الزمزمى سبيل الوتش فى طريق منى بالقرب من سبيل الست السابق الإشارة إليه ، وبناه على أعمدة صهريج قديم وجده هناك ، وسّبل فيه الماء أيام التشريق .

وفى سنة ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م قام الخواجا بدر الدين حسن بن محمد بن قاسم بن أحمد الصعدى اليمنى الشهير بالطاهر (ت ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م) بإنشاء سبيل بداره بمنى ، وفى السنة نفسها أنشأ أبو بكر الشجرى (والصواب الشحرى كما ورد فى الدر الكمين) (ت ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م) سبيلا ببيته بمنى .

وفى سنة ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م عمر بيرم خجا ناظر المسجد الحرام سبيلا وحوضا للبهائم بالمعلاة[٣٠]، وقام أحمد الحفيصى (ت ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م) بإنشاء سبيل له خارج باب الشبيكة ، وقد انتفع به مدة ثم تعطل الآن ـ أى زمن النجم عمر بن فهد المتوفى ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م ـ لعدم من يصب به الماء .

وقد أوصى شهاب الدين أحمد بن محمد البونى المغربى الأصل (ت ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م) ابنه محمداً ، أن يبنى سبيلاً أمام بيته بخط الردم فبناه لأنه كان جعل بيته الذى إلى جانبه صهريجاً ، كما أنه قام بتجديد بعض الأسبلة ومنها سبيل قاسم الذى عند مسجد الراية بعد خرابه ودثوره ، وذلك بعد ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م وسبيل سمرة ، كما أنشأ فى سنة ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م البئر المعروفة بالسلمية بالأبطح بعد أن إنهارت قبل ذلك بسنتين ـ أى ٨٤١هـ / ١٤٣٧م ـ وأيس منها .

وقام محمد بن الملاهى القبلانى قبل وفاته فى ١٨ ذى الحجة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م بإنشاء سبيل بالمعلاة بقرب الفضيل بن عياض .

أما السلطان المملوكى الأشرف قايتباى (٨٧٢ ـ ٩٠١هـ/ ١٤٦٧ ـ ١٤٩٥م) فقد أمر بإنشاء سبيل ملاصقا لمسجد الخيف بمنى فى سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م وسوف نشير إلى وصفه وأهميته فيما بعد بمشيئة الله تعالى .

وفى سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م أنشأ السلطان قايتباى سبيلا عظيما للخاص والعام

بمدرسته التى كانت تقع فيما بين باب السلام وباب النبى ويحدها من الناحية الشرقية المسعى (أشكال ١ ـ ٢ ، ٥ ـ ٧) .

وعن موضع هذا السبيل فقد أكد الحارثى أنه كان يقع فى رباط المدرسة[٣١] ويزودنا النهر والى بتفاصيل مهمة عن سبيل قايتباى بالمسعى حيث يذكر « ... وكان بنى السلطان سبيله على يمين الداخل إلى خان البزازين بالمسعى ... وكان أمامه إلى جهة القبلة بالمسعى سبيل قديم للقاضى شهاب الدين الطبرى على يمين الذاهب إلى المروة فأشار الخواجا شمس الدين بن الزمن والمهندس أن يهدم هذا السبيل ، حتى تظهر عمارة السلطان وسبيله فهدم وصار المسعى مكشوفًا وعمارة الخان والسبيل ظاهراً .... » .

وفى السنة نفسها ـ أى ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م ـ أمر السيد الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبى نمى أمير مكة المكرمة بعمارة سبيل وصهريج عند بئر شميس للصادر والوارد ففعل ذلك أثابه الله تعالى[٣٢] .

٤ ـ العصر العثمانى (٩٢٣ ـ ١٣٣٤هـ/ ١٥١٧ ـ ١٩١٦م) :

أنشئت خلال ذلك العصر سبل عديدة ، من بينها ما ذكره جار الله بن فهد المكى فى حوادث شهر محرم ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م بقوله « وشرع الأمير مصلح الدين الرومى فى عمل حنفية خلف درجة الريس وقبة السقاية القديمة ، المعروفة الآن بالسلطان المؤيد شيخ الملاصقة لفرشه زمزم بجانب الحنفية العتيقة التى غيرها الأمير جانبك وهى حوض كبير من حجر الماء له بزابيز (صنابير أو حنفيات) من نحاس وحجارة يجلس عليها للوضوء » .

ويضيف جار الله ابن فهد المكى فيذكر ضمن حوادث جماد الأولى ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م أن صاحب مكة السيد الشريف زين الدين بركات بن محمد ابن بركات أمر بعمارة « سبيل فوقه خلوة وبجانب بئر قديمة ... » وذلك ضمن رباطه الذى عمره فى خط الحزامية عند درب اليمن ، بالقرب من بيت الهيصمى خلف أجياد الكبير وكان الماء يصب من البئر القديمة بجانب السبيل إلى هذا الرباط »[٣٣] . ومنها سبيلان للسلطان سليمان القانونى (٩٢٦ ـ ٩٧٤هـ/ ١٥٢٠

ـ ١٥٦٦م) الأول يقع بجوار سور باب المعلاة وكان يستمد مياهه من قناة عين عرفة وعين حنين ، والسبيل الآخر كان يقع بالقرب من المروة ، ويستمد مياهه من قناة الماء المتجهة إلى بركة ماجن (كانت تقع فى المسفلة بمكة المكرمة) ...»[٣٤]، وقد شاهد هذا السبيل الرحالة السويسرى بوركهارت خلال الفترة التى مكثها فى الحجاز ، والتى تقدر بنحو أحد عشر شهراً (من ١٥ يوليو ١٨١٤م إلى ٢٥ مايو ١٨١٥م) وذكر أنه كان « مزدحما طوال النهار بالحجيج الذين يفدون إليه لملء قربهم »[٣٥]. ومنها بضعة سبل فى عهد السلطان سليم الثانى (٩٧٤ ـ ٩٨٢هـ/ ١٥٦٦ ـ ١٥٧٤م) منها ثلاثة أسبلة أنشئت أثناء العمارة التى جرت لقناة عين عرفة من الأبطح إلى مكة المكرمة فى سنة ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م وهى : بناء قبة مقسم بالأبطح ركب فى جدرانها بزابيز ـ أى صنابير أو حنفيات ـ من نحاس ليشرب منها الناس، وسبيل فى نهاية سوق المعلاة على يسار الخارج منه إلى الأبطح، وسبيل على يمين الصاعد إلى الأبطح بعد بستان المرحومة خاصكى سلطان[٣٦].

كذلك كانت لسنان باشا (ت١٠٠٤هـ/ ١٥٩٥م) والى مصر فى عهد السلطان سليم الثانى عدة عمائر وخيرات كثيرة بمكة المكرمة ، غير أن ما يعنينا منها ، فى هذا المقام ، هو تعمير وتجديد سبيل التنعيم للمعتمرين وإجراء الماء إليه من « بئر بعيدة يجرى منها الماء إلى السبيل فى ساقية ـ يقصد بها هنا القناة ـ مبنية فيما بينها بالجص والنوره، وعين لها خادماً (كان له خمسون ديناراً مع أمير الحاج سنويا كما يستدل من الوثيقة) يستقى من البئر ، ويصب من الساقية فيصل الماء إلى السبيل ليشرب منه ، ويتوضأ المعتمرون وعين لمصارف ذلك من ريع أوقاف له بمصر »[٣٧] وذلك فى سنة ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م فى قول ، وسنة ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م فى قول آخر، ولكن من المرجّح أن التاريخ الأول هو الأقرب إلى الصحة ؛ لأن سنان باشا بعد أن تحقق على يديه الفتح العثمانى لليمن ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م ، جاء إلى مكة المكرمة وأدى فريضة الحج ، ثم عزم على المسير إلى مصر ليتوجه منها إلى الباب العالى وبينما هو فى الطريق جاءه رسول من السلطان سليم الثانى يهنئه بهذا الفتح ويخبره بأن السلطان قد أنعم عليه بولاية مصر للمرة الثانية وذلك مكافأة له على مالاقاه من المحن ، وما ناله من التعب أثناء حملة اليمن ، ولما كانت هذه الولاية الثانية لسنان باشا قد استمرت نحو سنة واحدة وأحد عشر شهراً وذلك فيما

بين صفر ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م وذى الحجة ٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م[٣٨] فإن ذلك يدل على أن الشروع فى تنفيذ عمائره وخيراته بمكة المكرمة ، ومنها هذا السبيل ، كان أثناء تأديته لفريضة الحج ، وقبل تعيينه واليًا على مصر للمرة الثانية ـ أى فيما بين ذو الحجة وصفر ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م ـ ومن الطبيعى أن ما بقى من أشهر هذه السنة (٩٧٩هـ/ ١٥٧١م) كان كافيًا لاتمام عمارة هذا السبيل .

وفى عهد السلطان مراد الثالث (٩٨٢ ـ ١٠٠٣هـ/ ١٥٧٤ ـ ١٥٩٤م) أمرت زوجته ووالدة ولى عهده محمدًا ، بعمارة سبيل بطريق العمرة ، وتشير وثيقة مؤرخة باليوم الأول من شهر جمادى الأولى سنة ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م إلى هذا السبيل وإلى ما أمر به قاضى مكة المكرمة ، من ضرورة الاهتمام به والمحافظة عليه بل « وتوجيه القائم بخدمة الناس فى هذا السبيل إلى عدم منع أى إنسان من الشرب لأنه لعموم المسلمين »[٣٩] .

كذلك أشارت المصادر التاريخية المختلفة إلى سبيل السلطان مراد نفسه الذى أمر بإنشائه على يسار الخارج من المسجد الحرام إلى الصفا فى سنة ٩٩٥هـ/ ١٥٨٦م، وكان هذا السبيل يشرب منه الصادر والوارد وعمل تحته حنفيه للوضوء وحنفية أخرى مثلها فى لصق جدار مدرسة قايتباى من جانب السوق بالقرب من باب السلام الصغير ، وقد وصف سبيل السلطان مراد بأنه كان عظيمًا فى بنائه وفرشه ـ أى كسوة أرضيته ـ وعذوبة ماؤه ، كما أشاروا إلى ذلك النظم الشعرى اللطيف حول عمارته ، والذى اختلفت عدد أبياته بين المؤرخين ما بين ٧ ـ ١١ بيتا[٤٠] ، ولحسن الحظ فإن هذا النظم الشعرى قد نقشت منه أربعة أبيات بخط الثلث البارز على لوح من الرخام محفوظ بمتحف آثار الحرم المكى ، وقد قام بنشرها ودراستها الفعر ضمن رسالته للدكتوراه[٤١] .

وكان هذا السبيل جزءًا من عمارة للسلطان ، أقامها له فى الجانب الجنوبى من المسجد مصطفى جاويش ، وبلغت جملة ما صرف عليها وعلى السبيل نحو عشرين ألف ذهبا ، كما قام مصطفى جاويش بوقف بعض البيوت للصرف من غلة كرائها على هذا السبيل وعلى فراشين لكنس وتنظيف المحل الذى بناه خارج المسجد للفقراء[٤٢] .

ويصف لنا ابن المحب الطبرى (ت ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م) حالة هذا السبيل فى زمنه ، بأنه قد أصبح خرابًا ، وجعل فى موضعه بيت قهوة (مقهى) ، وقد أرجع ذلك إلى سوء تدبير النظار (نظار الوقف)[٤٣] .

إلا أن ما ذكره باسلامه من أن حنفية سبيل السلطان مراد السابق الإشارة إليها قد هدمت وأزيلت ـ هى وحنفيات أخرى مثلها ـ سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م[٤٤] ، يدل على أنه قد جرت عمارة عقب الخراب الذى أشار إليه ابن المحب الطبرى ، وبالتالى أبطل المقهى وعاد السبيل والحنفية إلى سابق عهدهما ووظيفتهما حتى هدمت الحنفية وأزيلت فى السنة المشار إليها ، مما يوحى من جهة أخرى بأن السبيل كان لا يزال باقيا حتى ذلك التاريخ ، ورغم ذلك فإننا نفتقر إلى ما يشير إلى تاريخ هدم وإزالة السبيل فى ضوء ما هو معروف من المصادر والمراجع حتى الآن، ولا سيما قبل التوسعة السعودية .

وفى عهد السلطان محمود الثانى (١٢٢٣ـ ١٢٥٥هـ/ ١٨٠٨ ـ ١٨٣٩م) أنشئ سبيل إلى جوار بئر فى شمال مكة المكرمة بقرب مسجد كان مجاوراً لتربة أم المؤمنين السيدة ميمونة (رضى الله عنها) .

وفى عهد السلطان عبد المجيد الأول (١٢٥٥ـ١٢٧٧هـ/ ١٨٣٩ـ١٨٦٠م) تم إعادة بناء الأسبلة الواقعة قرب مسجد العمرة فى سنة ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م ، كما تم ترميم الأسبلة الواقعة بالصفا[٤٥] ، وعلى ضوء هذا النص الأخير يمكن القول أن سبيل السلطان مراد الثالث كان من بين تلك الأسبلة التى تم ترميمها بعد أن كان جعل فى موضعه بيت قهوة (مقهى) كما سبق القول .

وفى النصف الثانى من القرن ١٣هـ/ ١٩م أنشئت عدة سبل فى كافة أحياء مكة المكرمة ، سواء من قبل لجنة عين زبيدة التى تأسست سنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م ، أو من قبل بعض أمراء مكة أو من قبل بعض الهنود[٤٦] .

ويضاف إلى مجموعة الأسبلة ، السابق الإشارة إليها ، عدد آخر من الأسبلة ورد ذكرها فى المصادر التاريخية ، وبصفة خاصة كتب التاريخ المحلى والرحالة ، ولكن دون تحديد لتاريخ عمارتها أو تجديدها أو ترميمها .

٥ ـ عهد الملك عبد العزيز بن آل سعود (١٣٤٣ـ١٣٧٣هـ/ ١٩٢٤ـ١٩٥٣م) :

بعد أن تمكن الملك عبد العزيز آل سعود ـ من ضم مكة المكرمة عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م ، وجدة عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م ، أصبح أمر العناية بالحجاج والزوار والمعتمرين وتسهيل مهمتهم ، من أهم أعماله ، ولذلك كان أول ما وجه إليه عنايته هو توفير المياه خاصة فى طرق الحج ، ومنها الطريق بين مكة المكرمة وجدة ، وقد أمر فى سنة ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م بإنشاء ثلاثة أسبلة فى مواقع متفرقة من هذا الطريق ؛ وهى كل من سبيل بئر أم القرون وسبيل حداء وسبيل بئر المقتلة. (أشكال ١٧ ـ ٢٠ ، لوحات ٤ ـ ٩) .

وأمر الملك عبد العزيز بإنشاء سبيل المعابدة الكائن أمام مبنى أمانة العاصمة المقدسة بالمعابدة بمكة المكرمة وذلك فى سنة ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م كما يستدل من نقش الإنشاء بواجهة السبيل(٤٧) .

كذلك قام الملك عبد العزيز بتجديد بعض الأسبلة العثمانية ، ومنها سبيل بئر الحديبية الذى أنشئ على حدود مكة المكرمة من الجهة الغربية سنة ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م ـ أى فى عهد السلطان عبد المجيد الأول ـ وأمر الملك عبد العزيز بتجديده سنة ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م كما يستدل من نقش الإنشاء بواجهة السبيل.

ومنها أيضًا سبيل بئر أم الجود الذى يرجع إلى أواخر العصر العثمانى ثم أمر الملك عبد العزيز بتجديده سنة ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م كما يستدل من نقش الإنشاء بواجهة السبيل(٤٨) .

المبحث الثانى : السُبل (السقايات) فى المدينة المنورة :

تمهيد :

من المعروف أن المدينة تختلف عن مكة المكرمة ، من حيث إنها تقع فى أرض منبسطة واسعة تقع حولها مرتفعات أو جبال منخفضة منعزلة وغير متواصلة وتخترق الأجزاء الجنوبية والغربية منها عدداً من الوديان ، وأهمها وادى العقيق وبطحان ومهزروومذ ينيب ورانونا ، كما يجرى وادى قناة فى أقصى الطرف الشمالى ، أما النواحى الأخرى التى تكون أكثر أرض المدينة ، فتعتمد على الآبار التى لم تكن مياهها عذبة ، ويروى موسى بن طلحة أنه : لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكانت مياه الآبار للشرب والغسيل كما كانت لرى المزارع ، ونظراً لكلفة الآبار وأهمية الماء ، فقد كان ثمنه غالياً ، ويروى موسى بن طلحة أن صاحب بئر رومه كان يبيع منها القربة بمد(٤٩) .

وكانت أثمان الآبار عالية ، وخاصة بعد تزايد سكان المدينة فى عصر الخلفاء الراشدين ، فمثلا بئر جشم فى رانونا ، وكان لرجل من غسان ، بيع فى خلافة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) بثلاثين ألف درهم ، وبئر رومه اشتراها عثمان بمبلغ اختلف الرواه فيه كما سبق القول .

وقد دفعت هذه الأوضاع بعض أغنياء الصحابة إلى التبرع بالآبار ، ومن أشهرها بئر رومه الذى اشتراه عثمان بن عفان (رضى الله عنه) وقال له الرسول (ﷺ) اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك ، كما تصدق أبو طلحة الأنصارى (رضى الله عنه) ببئر حاء كما سبق القول .

ومن الطبيعى أنه مع تزايد العناية بطرق الحاج عامة ، والطريق بين المدينة المنورة ومكة المكرمة خاصة ، ولا سيما فى عصرى الأمويين والعباسيين ، تزايدت العناية أيضا بتوفير المياه فى تلك الطرق عامة وفى المدينة المنورة خاصة ، وبالمصادر إشارات كثيرة حول هذا الموضوع ومنها ، على سبيل المثال ، تسهيل الثنايا وحفر الآبار بالمدينة على أيدى عمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه) عندما كان والياً على المدينة من قبل الوليد ابن عبد الملك .

وما أمر به المهدى فى سنة ١٦١هـ/ ٧٧٧م من اتخاذ المصانع فى كل منهل وتجديد الأميال والبرك وحفر الركايا مع المصانع(٥٠).

وقد أشارت المصادر التاريخية إلى منازل الطريق بين المدينة ومكة ، وما يحويه كل منزل منها من مصادر المياه والمنشآت التى أقيمت عندها أو بالقرب منها ، ولا سيما فى العصرين المملوكى والعثمانى .

وكانت السُبل من بين تلك المنشآت المائية التى أقيمت سواء فى المدينة المنورة أو فى منازل الطريق بينها وبين مكة المكرمة ، ويمكن فى ضوء المعطيات المتوافرة فى المصادر التاريخية والوثائق ، فضلا عن بعض الأدلة الآثارية الباقية ، والمعروفة حتى الآن ، أن نتحدث عن العديد من النماذج التى أنشئت فى المدينة المنورة ولا سيما خلال العصرين المملوكى والعثمانى .

ومن بين هذه النماذج سبيل وبركة فى مقابلة مسجد قباء فى المدينة المنورة(٥١).

ومنها ما شاهده ابن أحمد القيسى ووصفه بقوله « وبين المدينة المكرمة على يمين الطريق العين المنسوبة للنبى ﷺ ، وعليها بنيان مستدير ومنبع العين فى وسطه كأنه الحوض المستطيل وتحته سقايتان مستطيلتان وقد ضرب بين كل سقاية وبين الحوض بحاجز ويهبط إليها على أدراج وهى خمسة وعشرون درجاً ... »(٥٢).

ويضيف القيسى فيذكر أن بالمدينة أيضًا « ... ثلاث سقايات داخل باب الحديد ينزل إليها على أدراج وماؤها معين وهى على مقربة من المسجد الشريف»(٥٣).

وبعد أن قام القيسى بزيارة بدر (تقع حاليا إلى الجنوب الشرقى من ينبع على بعد ٨٠كم وإلى الشرق من الجار على بعد ٢٠كم) وصل إلى سبيل السلطان حصن (ربما كان ذلك خطأ مطبعى) وفى موضع آخر حسن (وهذا هو الأصوب) ووصف ما شاهده فى ذلك الموضع بقوله « ... فيه نوائل (أكواخ) وسقاية كبيرة مبنية وعليها أحباس (أوقاف) لمن يعمرها بالماء يجلب لها على ظهور الإبل »(٥٤).

ومن الواضح أن هذه المنطقة (بدر وما يليها) كانت تضم الكثير من الأسبلة، فها هو الرحالة ابن عبد السلام الدرعى (كان مروره على هذه المنطقة عام

١٢١١هـ/ ١٧٩٧م) يذكر أنه بعد مغادرة الركب لبدر ساروا حتى وصلوا إلى «سبيل ماء مبنى بين جبيلين ... وهو لخناثة بنت أمير المؤمنين محمد بن عبد الله بن إسماعيل (مولاى محمد الثالث من الأشراف العلويين بالمغرب الأقصى وكانت فترة حكمه فيما بين ١١٧١ ـ ١٢٠٤هـ/ ١٧٥٧ ـ ١٧٩٠م) من قبل أبيه قد كانت لما مرت بهذا المحل حاجة دفعت مالاً لسكان بدر على ذلك، فإذا قرب مجئ الحاج نقلوا إليه الماء ، ووجدناه مملوءاً أخذ منه من احتاج إليه كفايته » .

ويضيف الدرعى فيقول أنه بعد مغادرتهم لقاع البزواء وصلوا إلى سبيل محسن، وأنه لم يكن به ماء فى ذلك الوقت وفيه يقول الشاعر :

قد شكى لى بعض المحبين يوماً ظمأ الماء قلت ذا غير ممكن

كيف تشكو الظمأ وتجزع منه وبهذا السبيل أحسن محسن[٥٥]

أما مرتضى بن علوان فقد أشار فى رحلته إلى سبيلين عظيمين بقوله « وفى أثناء هذا القاع ـ أى قاع البزواء ـ سبيلان عظيمان ؛ كل سبيل يشتمل على مسجد وبئر ماء وصهريج كبير عليه قبب ، لكنه خراب من تقادم الزمان وتغير الأيام، بين كل سبيل وسبيل خمس أو ست ساعات ... »[٥٦]. كذلك كانت منزلة خليص تحوى « ... عين ماء وأبنية قهاوى وقد سيق الماء فى قنوات محكمات من العين يتفجر عنها فى مواضع للسقى والوضوء إلى أن يرجع الماء إلى بركة عظيمة تحت القرية وهو ماء عذب زلال ... »[٥٧].

١ ـ العصر المملوكى :

وفى العصر المملوكى أنشئت الأسبلة العديدة بالمدينة المنورة ومنها السبيل الذى أمر بإنشائه القاضى عبد الباسط ملحقًا بمدرسته بالمدينة المنورة ، والتى كانت تقع بالقرب من الحرم النبوى الشريف بإزاء باب السلام فى مواجهة مدرسة السلطان قايتباى[٥٨] (شكلا ٨ ـ ٩) .

ومنها السبيل الذى أمر بإنشائه السلطان قايتباى بربع مدرسته المشار إليها ، وكان المشرف على عمارتها الخواجا شمس الدين بن الزمن ، الذى كان مشرفا

على عمائره بمكة المكرمة أيضًا ، وكانت المدرسة الأشرفية تقع بين بابى السلام والرحمة بالمسجد النبوى الشريف ، وفرغ من عمارتها ، وبالتالى عمارة السبيل ، فى سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م[٥٩] (شكل ١٠) .

ومنها السبيل الذى أمر بإنشائه السلطان الأشرف قانصوه الغورى (٩٠٦ ـ ٩٢٢هـ/ ١٥٠٠ ـ ١٥١٦م) فى ربيع الأول ٩٢١هـ/ ١٥١٥م فى بدر كما يستدل من نقشه الإنشائى الذى لا يزال باقيا[٦٠] .

٢ ـ العصر العثمانى :

كثرت الأسبلة بالمدينة المنورة خلال العصر العثمانى ؛ ومنها سبيل داود باشا والى مصر (٩٤٥ ـ ٩٥٦هـ/ ١٥٣٨ ـ ١٥٤٩م) من قبل السلطان سليمان القانونى ، وجاء ذكر هذا السبيل فى وثيقة وقفة على النحو التالى «السبيل المستجد العمارة والإنشاء والحوض المجاور له المعد لسقى الدواب والبركة المجاورة لهما بظاهر المدينة المنورة بخط المصلى»[٦١] .

ومنها سبيل الساقزلى الذى كان بجانب باب مدرسة الساقزلى ، التى كانت تقع ملاصقة للسور السلطانى شمال الحرم النبوى الشريف بالقرب من دار الضيافة، وقد أمر بإنشاء المدرسة والسبيل وأوقف عليهما أوقاف كثيرة أحمد بن إبراهيم الساقزلى سنة ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م[٦٢] .

كذلك سبيل بشير أغا الملحق بمدرسته التى أنشأها سنة ١١٥١هـ/ ١٧٣٨م وكانت تقع فى الركن الجنوبى الغربى للحرم النبوى الشريف ملاصقة لباب السلام وأوقف عليهما أوقافًا كثيرة[٦٣] .

ومنها سبيل السلطان محمود الأول (١١٤٣ ـ ١١٦٨هـ/ ١٧٤٠ ـ ١٧٥٤م) وقد جاء ذكره فى وقف المحمودية الذى أسس سنة ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م، وكان هذا الوقف يضم عدداً من القرى فيما يعرف الآن بمحافظة المنوفية ضمن محافظات مصر الحالية ، وقد خصص السلطان ريع ذلك للإنفاق على عمائره فى مكة والمدينة ، ومنها هذا السبيل وسبيله الآخر بمكة المكرمة[٦٤] .

ومن الأسبلة التى شاهدها الرحالة التركى أوليا چلبى فى الربع الأخير من

القرن ١١هـ/ ١٧م سبيل الأغا خارج باب مصر وقد نقش على نافذته الآية الكريمة رقم ٣٠ من سورة الأنبياء « وجعلنا من الماء كل شيء حي » صدق الله العظيم ، وسبيل أغادار السعادة على ناحية كبدى خاصكى سلطان ، ويضيف چلبى فيقول « كما رأيت أن هناك سبيل ماء ملحق بكل خان أو مدرسة وتجلب مياهها من ماء عين الزرقاء ، كما يوجد بها سبعة أحواض ، كما أن الآبار تنتشر حيث تمر عين الزرقاء ... »(٦٥).

ويذكر البرزنجى « وعلى يمين الخارج من هذا الباب ـ أى باب الرحمة ـ اليوم حنفية أنشأها مولانا السلطان (عبد المجيد خان) قبل عمارته للمسجد النبوى الشريف ـ بدأت هذه العمارة سنة ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م وفرغ منها سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م ـ وأما السبيل الذى يقابلها والميضأة التى هناك فبناهما المبرور السلطان (أحمد خان) رحمه الله تعالى»(٦٦).

٣ ـ عهد محمد على باشا :

وفى عهد محمد على تم ترميم وصيانه وإصلاح مصادر المياه بالمدينة المنورة كالعيون والآبار ، ومن هذه وتلك جرى ترميم وإصلاح ١٢ عينا من أشهرها عين الزرقاء و ٤ آبار من القبة المباركة إلى البركة بمساحة واحدة ومائتى قصبة التى تبلغ أكثر من ثلاثة وعشرين ألف ذراع بالذراع الهندسى وكان الفراغ من هذه الأعمال فى ١١ ربيع الأول سنة ١٢٣٦هـ/ أواخر ١٨٢٠م(٦٧)، وهناك أعمال أخرى جاء ذكرها فى الوثائق التركية المحفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بمصر ، وهو الأمر الذى يستحق أن تفرد له دراسة مطولة .

٤ ـ أسبلة المدينة فى مطلع القرن ١٤هـ/ أواخر القرن ١٩م :

ذكر على بن موسى الأسبلة الباقية بالمدينة المنورة ضمن رسالته فى وصف المدينة المنورة سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م بقوله « وأما الأسبلة : ففى المناخة بشارع العنبرية واحد عند بيت أحمد بك ميرا لاى ، وواحد عند بيت السيد جعفر الكاتب، وعند مسجد المصلى واحد للمرحوم سليم بك المابنجى ، وواحد قديم بقرب المسجد عند بيت إمام المسجد ، وعند قرا قول ـ أى سجن ـ الخالدية واحد ،

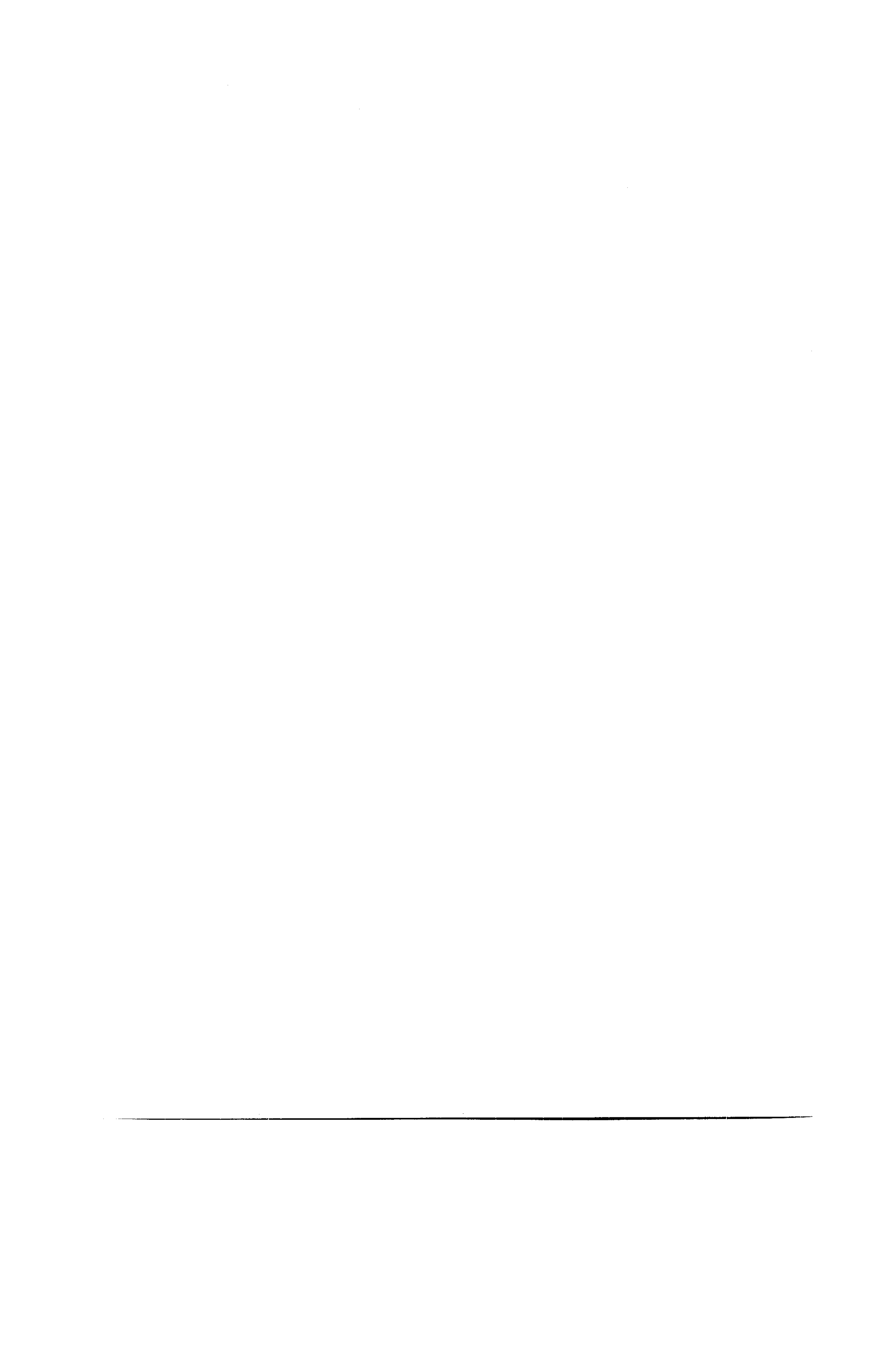
وعند باب المصرى واحد ، وفى قرا قول باب الصغير واحد ، وفى بيت السرابليه مسكن ذا النون آغا واحد ، وفى بيت الخليفتى بقبه (من الواضح أن المقصود هو قباء) واحد ، وداخل المدينة المنورة عند وكالة الشريف الشدقمى بن شاهين واحد وعند باب الشامى لعديلة سلطان واحد ، وواحد فى حارة الخرازين فى بيت البرهان مسكن مفتى الأحناف ، وسبيل عند باب السلام تحت الموقتخانه ، وواحد فى ديار العشرة ، وواحد عند رباط العجم لنور الدين الشهيد ، وواحد بجوار زاوية السمان ، وواحد عند باب الرحمة ، وواحد عند باب الجمعة ولا غير ذلك »[٦٨] .

وعلى ضوء هذا النص المهم يتضح أن المدينة المنورة كانت لا تزال تحتفظ حتى مطلع القرن ١٤هـ/ أواخر القرن ١٩م ، بنحو ١٨ سبيلا كانت موزعة ومنتشرة فى معظم أحياء المدينة سواء داخل السور أو خارجه ، فضلا عن الأسبلة التى أنشئت بالقرب من الحرم النبوى الشريف .



الفصل الثانى

الدراسـة الآثاريـة



تمهيد :

على ضوء ما تقدم فى الدراسة التاريخية بالفصل الأول يتضح مدى حرص العديد من الخلفاء والسلاطين والملوك ، ومن سلك مسلكهم وصار على نهجهم من الأمراء والولاة ، وغيرهم من الأغنياء والموسرين وأهل الخير فضلا عن النساء ، فى انشاء الأسبلة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة وفى طرق الحج سواء طريق مكة ـ المدينة أو طريق مكة ـ جدة ، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد فحسب ، بل أوقف هؤلاء الأوقاف الكثيرة المغلة ليصرف من ريعها المبرور على أوجه الصرف المختلفة ، وهو الأمر الذى كان من نتيجته دوام المنفعة واستمرارها .

وعلى الرغم من عدم بقاء هذه الأسبلة ، إلا أنه يمكن ، من خلال ما ورد من أوصاف لبعضها فى كتب التاريخ المحلى ، فضلا عن بعض الأدلة المادية الآثارية المتمثلة فى بعض النقوش الكتابية والصور الفوتوغرافية ، أن نسلط الضوء على عمارة هذه الأسبلة سواء من حيث طرزها ومفرداتها وعناصرها المعمارية من جهة ، ونقوشها الكتابية والزخرفية من جهة ثانية .

أما أسبلة الملك عبد العزيز فلا تزال باقية ، وهو الأمر الذى ييسر دراسة طرازها ومفرداتها ونقوشها من جهة ، ومقارنتها بطراز الأسبلة السابقة ، ولا سيما أسبلة العصر العثمانى من جهة ثانية كما سنشير فيما بعد .

ومن الأسبلة العباسية والمملوكية التى جاء وصفها مفصّلاً كل من سقاية العباس بن عبد المطلب (رضى الله عنه) ، وسبيل السلطان المؤيد شيخ بالحرم المكى الشريف ، وسبيل السلطان الأشرف قايتباى بمسجد الخيف بمنى ، وفيما يلى نسلط الضوء على طراز كل منها وأبرز خصائصه المعمارية وسماته الزخرفية .

المبحث الأول : من الأسبلة العباسية :

١ـ سقاية (سبيل) العباس بن عبد المطلب (رضى الله عنه) بالحرم المكى الشريف : (أشكال ١٢ ـ ١٤ ، لوحتا ١ ـ ٢)

يستدل من خلال ما ورد من وصف لهذه السقاية ، أنها كانت من السقايات المتميزة فى العمارة الإسلامية عامة وفى المدينتين المقدستين بالحجاز خاصة .

المرحلة الأولى : العصر العباسى الأول : ١٣٢ ـ ٢٣٢هـ/ ٧٥٠ ـ ٨٤٧م

لعل أقدم وصف لهذه السقاية هو ما أورده الأزرقى عن عمارة الخليفة العباسى محمد المهدى لها بقوله « ... وذرع طول سقاية العباس بن عبد المطلب أربعة وعشرين ذراعًا فى تسعة عشر ذراعًا ، وفيها من الأساطين فى جدرانها أربع ، وفى وسط جدر وجهها إسطوانة ، وفى جدرها فى وسطه من مؤخرها إسطوانة ، وما بين الأساطين ألواح ساج ، وطول جدرانها فى السماء ثمانية أذرع ، الساج من ذلك ستة أذرع وثمانى أصابع ، وعلى الأساطين جوايز عليها بناء ذراع وست عشرة أصبعا ، وعلى جدران السقاية ست وأربعون شرافة ، منها على الجدر الذى يلى الكعبة ثلاث عشرة شرافة ، ومنها على الجدر الذى يلى المسعى ثلاث عشرة ، ومنها على الجدر الذى يلى دار الندوة عشر ، ومنها على الجدر الذى يلى الوادى عشر وكان ذلك عمل المهدى ... » .

ويضيف الأزرقى فيذكر « ... وكان فى السقاية بابان : باب حيال الكعبة وفيه مصراعان طولهما أربعة أذرع وعشرون أصبعًا وعرضهما ثلاثة أذرع وعشرون أصبعا، والباب الثانى فى الجدر الذى يلى الوادى ، طوله ثلاثة أذرع وأربعة أصابع وعرضه ذراع ونصف وكان فى السقاية ستة أحواض ، منها ثلاثة ، طول كل حوض منها خمسة أذرع ونصف وعرض كل حوض منها ذراعان ، وطول كل حوض منها فى السماء ثلاثة أذرع ونصف ، وثلاثة أحواض طول كل حوض منها ذراع ونصف فى السماء ... ويصب فى الحياض ما يجرى فى قناة من رصاص

والقناة فى حجرة زمزم ... وطول قصبة القناة الرصاص من بطن حجرة زمزم أربعة أذرع ، وطول قصبة الرصاص من بطن السقاية إلى أعلى الحوض ثلاثة أذرع واثنا عشر أصبعاً ...»(٦٩).

وعلى ذلك فإن هذه السقاية ، بتخطيطها المستطيل وما يحويه هذا التخطيط من المفردات كالأبواب والأساطين والألواح الساج والجوايز والأحواض الستة والقناة الرصاص التى كان يجرى منها الماء إلى هذه الأحواض من حجرة زمزم ، فضلا عن الشرافات التى تعلو الواجهات الأربع، كانت نموذجاً فريداً للسقايات (الأسبلة) المبكرة ، حيث أنه لم يتكرر فى ضوء المعطيات المتوافرة لدينا حتى الآن سواء من المصادر التاريخية أو من النماذج الآثارية الباقية فى الأقطار العربية والإسلامية .

وقد أجريت لها بضعة تغييرات ، فضلا عن هدم الشرافات بأمر حسين بن حسن العلوى ٢٠٠هـ/ ٨١٥م ، ثم لما جاء مبارك الطبرى رد الألواح الساج فى مكانها وأغلقها وأخرج البطحاء منها ، وفى خلافة الواثق بالله ، وبالتحديد سنة ٢٢٩هـ/ ٨٤٣م غيرت صفة السقاية على حد قول الأزرقى(٧٠).

المرحلة الثانية : العصر العباسى الرابع : (قبل عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) وأوائل عصر المماليك الجراكسة (٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م) :

وصف الفاسى سقاية العباس فى زمنه بقوله « صفة هذه السقاية الآن بيت مربع فى أعلاه قبة كبيرة ساترة لجميعه ، والقبة من آجر معقودة بالنورة ، وفى أسفل جدرانها خلا الجنوبى شبابيك من حديد تشرف على المسجد الحرام ، فى كل جهة شباكان من حديد ، وفى جانبها الشمالى من خارجها حوضان من رخام مفردان ، وباب السقاية بينهما ، وفى هذا البيت بركة كبيرة تملأ من بئر زمزم ، يسكب الماء من البئر فى خشبة طويلة على صفة الميزاب متصلة بالجدار الشرقى من حجرة زمزم ويجرى الماء منها إلى الجدار المشار إليه ، ثم إلى قناة تحت الأرض حتى يخرج إلى البركة من فوارة فى وسطها ، وأحدث وقت عمرت فيه هذه القبة سنة سبع وثمانمائة (١٤٠٤م) ، وسبب عمارتها فى هذه السنة أن القبة التى كانت فى سقف هذه السقاية أكلت الأرضة (دودة الخشب) بعض الخشب الذى كان فيها فسقطت .. » .

ويضيف الفاسى فيقول « وما ذكره الأزرقى فى صفة هذه السقاية وهو يخالف هذه الصفة ولذلك تركنا ذكره هنا ـ أى شفاء الغرام ـ .. »[٧١] .

ونخرج من هذا الوصف بحقيقة مهمة فحواها أن العمارة التى جرت لهذه السقاية فى سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م كانت تسبقها عمارة أخرى غير محددة التاريخ حتى الآن فى ضوء المعطيات المتوافرة ، وعلى ذلك فأنه من المرجح أن الوصف المشار إليه إنما يتعلق بهذه العمارة الأقدم غير المحددة التاريخ[٧٢]، وبالتالى فإن العمارة التى جرت فى سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م لم تغير شىء من جوهر تخطيط السقاية ، باستثناء استبدال القبة الخشبية التى كانت تغطى السقاية ـ والتى أكلتها الأرضة ـ بقبة أخرى من الآجر المكسو بطبقة من النورة ـ أى الملاط أو الجص ـ ونضيف على ذلك فنقول أن هذا الطراز الجديد الذى صممت على أساسه سقاية العباس ، والذى عبر عنه الفاسى بأنه يخالف طرازها الذى وصفه الأزرقى ، إنما يعد من الطرز القليلة بل النادرة فى تصميم الأسبلة فى العمارة الإسلامية عامة ، فإن نماذج الأسبلة الباقية ذات القباب تعد قليلة ، ومن أشهرها على الإطلاق سبيل السلطان الأشرف قايتباى بالقدس الشريف الذى أمر بإنشائه فى بادئ الأمر السلطان المملوكى الأشرف إينال ، ثم عمره وجدده قايتباى فى سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م[٧٣] . (لوحة ١٠) ومنها بعض النماذج المملوكية الباقية بمدينة القاهرة[٧٤] . وغيرذلك .

المبحث الثانى : من الأسبلة المملوكية :

١ ـ سبيل السلطان المؤيد شيخ بالحرم المكى الشريف :

كان يشغل موضع هذا السبيل خلوة بجانب البيت الذى يحوى بئر زمزم المبارك ، وكانت هذه الخلوة تشتمل على بركة تملأ من زمزم ، ويشرب منها من دخل إلى الخلوة ، وكان لهذه الخلوة باب إلى جهة الصفا ثم « سد وجعل فى موضع الخلوة بركة مقبوة وفى جدارها الذى يلى الصفا زبازيب ـ بزابيز ـ يتوطأ الناس منها على أحجار نصبت عند الزبازيب ، وفوق البركة المقبوة خلوة فيها شباك إلى الكعبة وشباك إلى الصفا وطابق صغير إلى البركة ، وكان عمل ذلك على هذه الصفة فى سنة سبع وثمانمائة (١٤٠٤م) ... »[٧٥].

ويضيف الفاسى فيذكر أنه قد تم هدم ذلك الموضع فى العشر الأول من ذى الحجة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م «لما قيل من أن بعض الجهلة من العوام يستنجى هناك» وعمر بدلا من ذلك السبيل ينتفع الناس بالشراب منه ، وكان الفراغ من عمارة هذا السبيل المؤيدى فى شهر رجب سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م .

ويصف الفاسى هذا السبيل بقوله « وصفه هذا السبيل بيت مربع فيه ثلاثة شبابيك كبار من حديد فوق كل شباك لوح من خشب بصنعة حسنة : منها واحد إلى جهة الكعبة ، واثنان إلى جهة الصفا ، وتحت كل شباك حوض فى داخل البيت ، وفيه بركة حاملة للماء ، وله سقف مدهون يراه من دخل السبيل ، وبابه إلى جهة الصفا ، وله رفرف خشب من خارجه مدهون ، وفوق ذلك شراريب ـ أى شرافات ـ من حجارة منحوتة ، وباطن السبيل منور ، وظاهره مرخم بحجارة ملونة ، وجاءت عمارته حسنة ... »[٧٦]. ويتضح من هذا الوصف أن السبيل المؤيدى كان على غرار الأسبلة المصرية فى العصر المملوكى التى لا تزال نماذج كثيرة منها باقية فى القاهرة حتى الآن ، وإذا كانت الأسبلة ذات الشبابيك الثلاثة ترجع أقدم نماذجها إلى عصر السلطان المملوكى الأشرف برسباى كما أثبت ذلك نويصر فى دراسته عن منشأة فيروز الساقى المؤرخة بـ ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م)[٧٧] فإن اكتشاف هذا النص الوصفى المهم للسبيل المؤيدى بالحرم المكى الشريف ، يجعلنا نرجع

بدايات ظهور شبابيك التسبيل الثلاثة إلى ما قبل عصر برسباى ، بل وربما إلى ما قبل عصر المؤيد شيخ نفسه ، ومن المتوقع اكتشاف نصوص تاريخية ووثائقية تؤكد ذلك فى المستقبل بمشيئة الله تعالى .

ومن السمات الأخرى التى كان يتميز بها هذا السبيل المؤيدى بناؤه بالحجر المشهر ، وهو ما يستدل من وصف الفاسى « وظاهره مرخم بحجارة ملونة » كما كانت تتوج واجهاته شرافات حجرية منحوتة يوجد أسفلها رفرف خشبى ذو نقوش زخرفية ملونة ، وهو ما يستدل من وصف الفاسى « وله رفرف خشبى من خارجه مدهون ، وفوق ذلك شراريب من حجارة منحوتة » كذلك كان يسقف حجرة السبيل سقف خشبى ذو نقوش زخرفية ملونة .

٢ ـ سبيل السلطان الأشرف قايتباى بمسجد الخيف بمنى :

أمر بإنشاء هذا السبيل السلطان الأشرف قايتباى فى سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م كما سبق القول ، وقد وصفه النجم عمر ابن فهد (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م) بعد إنشائه بأحد عشر عاماً بقوله « ... وبنى سبيل ملاصق للمسجد على يمين الداخل من باب المسجد بواجهة مبنية من الرخام الأصفر المنحوت المحكم العمل ، تحته صهريج كبير برسم الماء ، وعمل بالسبيل المذكور طاقات من الرخام ، يتناول من الطاقات المذكورة الماء المعد للشرب ، وبالسبيل أربعة شبابيك كبار من جهاته الأربع مفروشة أرض السبيل المذكور بالرخام الأصفر ، وبه بيّارة يستقى منها الماء من الصهريج المذكور على حوضه ، وبالسبيل المذكور خزانة حاصل لآلات السبيل المذكور ، وللسبيل المذكور بابان أحدهما من الطريق والآخر من داخل المسجد ...» .

ويضيف النجم عمر ابن فهد فيذكر « واستجد صهريج خارج المسجد ، وبنى دبل كبير له محكم مبنى بالنورة مدلوك يتوصل منه الماء إلى الصهريج القديم الذى هو داخل المسجد وحفرت بئر هناك ، كانت مطوية ، مقابل باب المسجد بالقرب منه ، وبيض جميعه باطنا وظاهراً وبرق جميع سطحه بالنورة ... »[٧٨] .

ويستدل من هذا الوصف أنه كانت لهذا السبيل أربع واجهات مبنية بالرخام الأصفر المنحوت محكم العمل ، بكل واجهة منها شباك كبير ، فضلا عن طاقات من الرخام يتناول منها الناس الماء المعد للشرب ، وله بابان أحدهما يطل على الشارع والآخر على المسجد ، وزود كذلك بخزانة (حاصل) لحفظ أدوات التسبيل المختلفة وفرشت أرضيته بالرخام الأصفر .

ومن السمات التى كان ينفرد بها هذا السبيل هى أنه كان يشتمل على أربعة شبابيك للتسبيل ، ونتفق مع ماذهب إليه الحارثى بقوله « وهذا مثال نادر لم يتكرر فى الحجاز أو فى مصر فى ذلك العصر ـ أى العصر المملوكى ـ ... »(٧٩) .

أما الصهريج المبنى أسفل حجرة السبيل ، فقد كان يصل إليه الماء من الصهريج المستجد خارج المسجد عبر قناة محكمة مبنية بالنورة ، وبالقرب من هذا الصهريج المستجد أعيد حفر بئر ، كانت مطوية ، مقابل باب المسجد .

ومن السمات التى كان ينفرد بها هذا السبيل أيضًا ، تلك الطاقات الرخام التى يتم من خلالها تناول الماء ، ويذكر الحارثى أن الطاقات مصطلح تعرف به أحواض التسبيل فى الحجاز(٨٠) .

وإذا كان صهريج مسجد الخيف تجرى إليه المياه من الصهريج المستجد والبئر القريبة منه كما سبق القول ، فإن هناك أسبلة أخرى كانت تعتمد صهاريجها على مياه الأمطار والسيول ، ومنها السبيل الملحق بمدرسة القاضى عبد الباسط بمكة المكرمة ، حيث كان ماء المطر المتساقط على سطح الحرم المكى الشريف يتجمع فى مواضع معينة ، ومنها ينتقل بواسطة أقصاب (مواسير أو أنابيب) مغيبة فى الجدران إلى الصهريج(٨١) .

ومن المعروف أن تخطيط غالبية صهاريج الأسبلة متشابه إلى حد كبير ، حيث تتكون من مساحة مستطيلة أو مربعة تقسم إلى أروقة متقاطعة تسقف بالأقبية أحيانًا (شكل ٢١) أو بالعقود المقالية غالبًا ، أى القباب الضحلة المقامة على مناطق انتقال من المثلثات الكروية ، بواقع مثلث بكل ركن من الأركان الأربعة (شكل

٢٢) ، ومنها صهريج مسجد نمرة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م ، وقد وصفه النجم عمر ابن فهد بقوله « وحفرت بالمسجد المذكور صهريج عظيم يتوسط المسجد المذكور طوله عشرون ذراعا من شرقيه إلى غربيه ، وسعته خمسة أذرع بالعمل ، بداخله بوائك يعلوها ثلاث مقالى وقنطرتان وله منزلان وفم بوسطه يستقى منه الماء، وارتفاع الصهريج المذكور ستة أذرع بالعمل ، وعملت قناة كبيرة آتية من خارج المسجد متصلة بالصهريج المذكور ، للقناة المذكورة مصفاة من خارج المسجد يجتمع فيها الماء ، ويجرى صافيا منها فى القناة المذكورة إلى الصهريج المذكور مما يتحصل من ماء السيول »[٨٢] .

وكل من صهريجى السبيلين اللذين شاهدهما مرتضى بن علوان وقد سبقت الإشارة إليهما .

وبعض الأسبلة الأخرى كانت ذات واجهة واحدة ، وبالتالى شباك واحد للتسبيل ، ومنها السبيل الملحق بالمدرسة الباسطية بمكة المكرمة (شكل ١١) ، ومنها أسبلة ذات واجهتين وبالتالى شباكين ، مثل السبيل الملحق بالمدرسة الباسطية بالمدينة المنورة، وسبيل مدرسة السلطان قايتباى بمكة المكرمة[٨٣] (أشكال ٥ ـ ٩).

وهناك من الدلائل ما يشير إلى أن سبيل المدرسة الباسطية بمكة المكرمة ، كان ينفرد بوجود حوض حجرى كبير بصدره ، ومنه تصل المياه إلى حوض التسبيل أسفل شباك السبيل[٨٤] (أشكال ١ ـ ٤ ، ١١) .

المبحث الثالث : أسبلة العصر العثمانى :

أما أسبلة العصر العثمانى ، السابق الإشارة إليها ، فإنه من المرجّح أن غالبيتها كانت تضمم وفق الطراز المحلى السائد فى مكة والمدينة ، مع إضافة بعض السمات التى ينفرد بها الطراز العثمانى ، والتى كان لها صداها فى الأقطار العربية خلال العصر العثمانى ، ومنها مكة المكرمة والمدينة المنورة . وقبل أن نتحدث عن هذه السمات ، يمكن القول أن وسائل تغذية الأسبلة بالمياه كانت على نفس النمط السابق الإشارة إليه ، فبعض الأسبلة كانت تستمد مياهها من قنوات المياه المتصلة بالبرك والعيون أو الآبار ، ومنها سبيل السلطان سليمان القانونى بجوار سور باب المعلاة ، وكان يستمد مياهه من قناة عين عرفة وعين حنين ، كذلك كان سبيل السلطان سليمان الآخر بالقرب من المروة ، يستمد مياهه من قناة المياه المتجهة إلى بركة ماجن .

أما سبيل سنان باشا بالتنعيم فكان يجرى إليه الماء من بئر بعيدة ثم يصب فى قناة مبنية بالجص والنورة ؛ وبعض الأسبلة الأخرى كانت مزودة بصهاريج أسفلها كما سبق القول .

أما السمات العثمانية التى أضيفت على عمارة السُبل فى مكة والمدينة فتتمثل، فى ضوء المعطيات المتوافرة فى المصادر ، فى الحاق الچشمات بالأسبلة من جهة ، أو فى إنشاء چشمات مستقلة من جهة ثانية . وقد أشارت المصادر العربية إلى هذه الچشمات بالحنفيات ، وقد ظن البعض أنها كانت ميضآت فحسب(٨٥) ، ولكن الواقع أنها كانت تؤدى الغرضين معا ـ أى الشرب والوضوء ـ سواء كانت مستقلة أو ملحقة ، ومنها سبيل قبة مقسم بالأبطح ، إذ ركب فى جدرانها بزابيز من نحاس ليشرب منها الناس كما سبق القول .

ومنها سبيل السلطان مراد الذى كان يقع على يسار الخارج من المسجد الحرام إلى الصفا ، والذى أضيفت إليه حنفية (چشمة) للوضوء ، وأضيفت مثلها إلى مدرسة السلطان قايتباى وذلك لصق جدار المدرسة من جانب السوق ، بالقرب من باب السلام الصغير كما سبق القول .

ومنها چشمة السلطان عبد المجيد الأول ، التى كانت على يمين الخارج من باب الرحمة بالمسجد النبوى الشريف ، وهى چشمة مستقلة أشار إليها البرزنجى بمصطلح حنفية كما سبق القول .

ومما له دلالته أن مثل هذه الچشمات قد عرفت فى مصر العثمانية ، وأضيفت إلى كثير من الأسبلة ، سواء كانت مصممة على الطراز المصرى المحلى ، أو على الطراز العثمانى الوافد ، وأطلقت عليها الوثائق المختلفة مصطلح السبيل المصاصة بعدة صيغ متقاربة(٨٦) .

ومن الأسبلة المتميزة ، بل المتفردة فى عمارتها وهيئتها ، سبيل منى الذى أنشئ فى سنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١ ـ ١٩٢٢م (لوحة ٣) كما يستدل من صورتين نشرهما صاحب مرآة الحرمين(٨٧) ، ومنهما يتضح مدى العناية الفائقة التى بذلت فى بنائه سواء من حيث هيئته المستقلة غير المسبوقة أو من حيث كتلة مدخله البارز ، أو من حيث بنائه بالحجر المشهر ، أو من حيث مفرداته وعناصره المعمارية من الأحواض والدخلات المعقودة والعقود والدعامات المسدسة وما يعلوها من الأعمدة المدمجة فى الأركان ، أو من حيث حلياته ونقوشه الكتابية والزخرفية مثل البناء بالحجر المشهر والشرافات التى تتوج واجهات السبيل ، ومن النقوش الكتابية التى أمكن قراءاتها من خلال الصورة الفوتوغرافية الآية القرآنية الكريمة « وسقاهم ربهم شرابا طهوراً » ومما له دلالته أن هذه الآية الكريمة شاهدها أوليا چلبى على بعض أسبلة المدينة المنورة(٨٨) .

المبحث الرابع : أسبلة الملك عبد العزيز :

أما أسبلة الملك عبد العزيز الثلاثة فى الطريق بين مكة وجدة ـ وهى سبيل بئر أم القرون وسبيل حداء وسبيل بئر المقتلة ـ فقد صمم كل منها على شكل حوض مستطيل له فتحات للسقيا وسقف بقبو ، ويعلو واجهة كل منها نقش إنشاء مؤرخ بسنة ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م ، وقد جاء تصميم هذه الأسبلة يسيراً فى تكوينه، ومتفقاً مع إمكانيات البيئة المحلية من حيث المناخ والمواد الخام المتوفرة فى المنطقة كأحجار البازلت غير المشذبة والآجر والنورة والفخار وتراب الفحم (أشكال ١٧ ـ ٢٠ ، لوحات ٤ ـ ٩) .

ولما كان هذا الأسلوب قد سبق ظهوره فى تصميم بعض الأسبلة العثمانية فى الطريق بين مكة وجدة ومنها سبيل بئر الحديبية وسبيل بئر أم الجود السابق الإشارة إليهما ، ولذلك انتهى غباشى فى دراسته إلى القول ، أن تصميم أسبلة الملك عبد العزيز قد جاء « متأثراً بأسبلة العثمانيين على الطريق بين مكة وجدة ، لقصر الفترة الزمنية بين نهاية حكم العثمانيين للحجاز وبداية حكم الملك عبد العزيز له ، حيث إن حكم العثمانيين انتهى عام ١٣٣٤هـ/ ١٨١٦م وبدأ حكم الملك عبد العزيز عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م ، مما يجعلنا نرجح احتمال أن بناء الأسبلة تم على يد معماريين سبق لهم العمل فى العصر العثمانى »[٨٩] .

ورغم ذلك فإنه من الملاحظ وجود نسق جديد فى تصميم أسبلة الملك عبد العزيز الثلاثة ولا سيما من حيث اختلاف طريقة التسقيف ، فضلا عن النقوش الكتابية بواجهات الأسبلة ، وهو الأمر الذى يجعل لهذه الأسبلة الثلاثة طابعًا خاصا رغم بساطة تكوينها .

أما سبيل المعابدة فيتميز بأنه يتوج واجهته بوابة كبيرة معقودة ، كما أن به خمس فتحات للسقيا[٩٠] .

الخاتمة

مما تقدم يتضح أن الأسبلة قد عرفت فى العمارة الإسلامية عامة وفى المدينتين المقدستين بالحجاز والطرق التى تصل بينهما خاصة منذ صدر الإسلام ، وذلك بفضل تعاليم الدين الإسلامى وتأسيا بسنة الرسول (ﷺ) فعندما اشترى عثمان بن عفان (رضى الله عنه) بئر رومة بعقيق المدينة المنورة قال له الرسول الكريم : اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك وكذلك فعل عدد من الصحابة من شراء الآبار وتسبيل مائها فى سبيل الله ، ولم يلبث أن تطور الأمر خلال عصر الخلفاء الراشدين ؛ إذ بنيت أبنية خاصة بتوفير المياه وتسبيلها فى الطريق بين مكة والمدينة فى عهد عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) وقد عرفت هذه الأبنية بالسقايات ، وبلغ ما أنشئ منها حتى الربع الأخير من القرن ٣هـ/ ٩م بمكة المكرمة وحدها نحو مائة سقاية .

ولم تلبث هذه السقايات أن انتشرت بدرجة كبيرة منذ العصر الأيوبى وخلال العصرين المملوكى والعثمانى وقد اشتهرت بالأسبلة .

ورغم اندثار الأسبلة فى المدينتين المقدستين بالحجاز ، إلا أنه تم التوصل ، من خلال ما ورد فى المصادر التاريخية ، وبصفة خاصة كتب التاريخ المحلى وكتابات الرحالة ، فضلا عن بعض الأدلة الآثارية ، إلى استخلاص بعض الحقائق عن طرز هذه الأسبلة سواء من حيث عمارتها وتخطيطها أو من حيث مفرداتها وعناصرها المعمارية أو من حيث نقوشها الكتابية والزخرفية ، وهو الأمر الذى كان لا يختلف كثيراً عن النماذج المعاصرة ، وبصفة خاصة مصر والشام خلال العصرين المملوكى والعثمانى ، وهو ما يمكن أن نلاحظه كذلك فى غالبية الآثار المعمارية الباقية فى طريقى الحج الشامى والمصرى ، والتى ترجع إلى هذين العصرين أيضاً على أن ذلك لا ينفى وجود سمات خاصة ونمط محلى فى كثير من المفردات والعناصر والتفاصيل ، معمارية كانت أم زخرفية .

وكانت هذه الأسبلة تستمد مياهها من الآبار والبرك والعيون أو مياه الأمطار والسيول بواسطة قنوات مبنية محكمة متقنة ، أو أقصاب (مواسير أو أنابيب) مغيبة

فى الجدران ، وبعضها زودت بصهاريج ، وفى هذه الحالة كان يوجد صهريج واحد غالباً أو صهريجان أحياناً كما سبق القول .

أما حجرات الأسبلة فكانت مستطيلة أو مربعة وتزود بالشبابيك سواء شباك واحد مثل سبيل المدرسة الباسطية بمكة المكرمة ، أو شباكان مثل سبيل مدرسة قايتباى بمكة المكرمة وسبيل المدرسة الباسطية بالمدينة المنورة ، وكانت توجد بأرضية هذه الشبابيك الأحواض سواء كانت من الحجر أو الرخام ومما له دلالته هنا ما انفرد به سبيل المدرسة الباسطية بمكة المكرمة من وجود حوض حجرى فى صدر حجرة التسبيل تصل منه المياه إلى الحوض أسفل شباك السبيل . ومن الملاحظ كذلك أن غالبية الشبابيك كانت مسامته للجدران ، كما هو الحال فى غالبية الأسبلة المملوكية الباقية بالقاهرة ، وعلى ذلك فإن ما وجد فى كل من شباكى سبيل الباسطية بالمدينة المنورة من وضع هذه الشبابيك فى دخلات معقودة ، إنما يعد استثناء لهذه القاعدة وخروجا عن المألوف ، ولهذا الاستثناء سابقة فى أسبلة القاهرة المملوكية ، وهو ما نراه فى سبيل مدرسة جمال الدين الاستادار بحى الجمالية بالقاهرة ٨١١هـ/ ١٤٠٨م .

ومن الأسبلة المهمة سبيل المؤيد شيخ بجوار زمزم بالحرم المكى الشريف ، والذى يعد أقدم نموذج معروف ، فى ضوء المعطيات التاريخية والوثائقية والآثارية المتوافرة بين أيدينا حتى الأن ، للأسبلة ذات الشبابيك الثلاثة فى العمارة الإسلامية عامة وفى الحجاز ومصر خاصة .

كذلك فإن وجود الشبابيك الأربعة بسبيل قايتباى بمسجد الخيف بمنى ، يجعل من هذا السبيل مثالا نادراً ؛ إذا لا توجد له نماذج سابقة ، بل وحتى أواخر العصر المملوكى فى الحجاز ومصر والشام فى ضوء المعطيات التاريخية والوثائقية والآثارية المتوافرة بين أيدينا حتى الآن .

أما الأسبلة العثمانية التى أنشئت فى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، فإنه من المرجّح أنها لم تختلف كثيراً عن الأسس التى كانت معروفة ومتبعة قبل العصر العثمانى ، مع إضافة بعض السمات والخصائص المميزة للسبيل التركى العثمانى

فى الأناضول ، ومن أهمها الچشمات ، والتى عبرت عنها المصادر التاريخية بالحنفيات ، وكانت عبارة عن دخلات تزود بأحواض يصل إليها الماء من خلال بزبوز (صنبور أو حنفية) واحد أو أكثر مثبت فوق منتصف الحوض ، وكانت هذه الچشمات تبنى إما مستقلة مثل حنفية السلطان عبد المجيد التى كانت على يمين الخارج من باب الرحمة بالمسجد النبوى الشريف ، أو تلحق بالأسبلة غالبًا ، وذلك عن يمين أو يسار شبابيك التسبيل أو كلاهما ، ومنها الحنفية الملحقة بسبيل السلطان مراد الذى كان يقع على يسار الخارج من المسجد الحرام إلى الصفا ، وتلحق بواجهات العمائر الدينية أحيانًا ، ومنها الحنفية التى ألصقت فى جدار مدرسة قايتباى من جانب السوق بالقرب من باب السلام الصغير ، وذلك فى عهد السلطان مراد فى سنة ٩٩٥هـ / ١٥٨٦م .

وكانت هذه الچشمات تستخدم مياهها للوضوء والشرب فى ذات الوقت كما سبق القول .

وبالنسبة إلى سبيل منى ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١ ـ ١٩٢٢م فنعتقد أنه كان خاتمة رائعة لعمارة الأسبلة الإسلامية فى الأقطار العربية عامة وفى المدينتين المقدستين بالحجاز خاصة ، إذ حوى خلاصة الكثير من العناصر والمفردات والتفاصيل التى قل أن تجتمع فى سبيل واحد .

كذلك فإنه يتضح من خلال المعطيات التاريخية المتوافرة مدى العناية التى بذلت فى عمارة هذه الأسبلة من حيث مادة بنائها بالحجر أو الرخام أو من حيث كسوة أرضياتها بالحجر أو الرخام أيضا ، أو من حيث مفرداتها من الأبواب والمصاريع والأسقف الخشبية ذات النقوش الزخرفية المدهونة والملونة ، والأسقف الحجرية (القباب أو الأقبية وأحيانًا مجاديل حجرية كما هو الحال فى أحد الأسبلة العثمانية فى الطريق بين مكة وجدة ، والتى تأثرت بها عمارة أسبلة الملك عبد العزيز بنفس الطريق كما سبق القول) والرفارف والشرافات ، وليس أدل على هذه العناية الفائقة من وصف هذه الأسبلة فى المصادر التاريخية بأنها كانت عظيمة فى بنائها وفرشها ، أو من حيث نقوشها الكتابية سواء التى نظمت شعرًا ـ كما هو

الحال فى سبيل السلطان مراد الذى كان على يسار الخارج من المسجد الحرام إلى الصفا ـ أو تلك التى اقتصرت على الآيات القرآنية ـ كما هو الحال فى سبيل منى أو الأسبلة التى شاهدها أوليا چلبى فى المدينة المنورة ـ أو النقوش الإنشائية ـ كما هو الحال فى سبيل الغورى ببدر وأسبلة الملك عبد العزيز على الطريق بين مكة وجدة والعديد من الأسبلة التى ذكرها الفاسى وأشار إلى نقوشها الإنشائية ـ ومما له دلالته فى هذا الصدد أن النقوش الإنشائية كانت لا تخلو فى كثير من الأحيان من الاستشهاد بالآيات القرآنية ، غير أنه تعوذنا الأدلة التى تؤكد ذلك فى أسبلة الحجاز لاندثارها .

ولا تفوتنا الإشارة إلى أن سقاية (سبيل) العباس بن عبد المطلب (رضى الله عنه) بالحرم المكى الشريف كانت تمثل طرازاً فريداً ونادراً فى عمارة الأسبلة الإسلامية عامة وفى الحجاز خاصة سواء فى مرحلة عمارتها الأولى فى عهد الخليفة المهدى العباسى ، أو فى مرحلة عمارتها الثانية التى شاهدها ووصفها ابن جبير ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م .

كذلك يجب ألا ننسى ذلك الطابع الخاص الذى يميز أسبلة الملك عبد العزيز الثلاثة فى الطريق بين مكة وجدة ، رغم بساطة تكوينها .

وبعد ، فإذا كنت قد وفقت من خلال هذه الدراسة فيما قصدت إليه فلله الحمد وهو من وراء القصد خير معين ، وإن كنت قد قصرت ، فحسبى أن تكون هذه الدراسة ، لبنة صغيرة فى مجال دراسة العمارة الإسلامية عامة والعمارة الحجازية فى مكة المكرمة والمدينة المنورة خاصة .

هوامش الكتاب

(١) الباشا ، حسن ، مدخل إلى الآثار الإسلامية ، القاهرة ، ط٢ ، (١٩٩٠م) ص ١٦٣؛ الكحلاوى ، محمد محمد ، السقايات المغربية بمدينتى فاس ومراكش ، دراسة أثرية مقارنة مع الأسبلة المملوكية بالقاهرة ، مجلة كلية الآداب بقنا ، جامعة جنوب الوادى ، العدد الرابع ، (١٩٩٥م)، ص٣١٩ ؛ (ومما له دلالته أن لنا على هذا البحث مآخذ وملاحظات نقدية علمية فى دراسة لاحقة بمشيئة الله تعالى) .

MOSTAFA, S. L., The Cairene sabil : form and Meaning, Muqarnas, vol, 6, Leiden, Brill, E. J. (1989), P. 34 .

(٢) عثمان ، محمد عبد الستار ، أسبلة القاهرة المملوكية ، مجلة المتحف العربى ، السنة ٢ ، العدد ٣ ، الكويت (جمادى الأولى ـ رجب ١٤٠٧هـ/ يناير ـ مارس ١٩٨٧م) ، ص٨٦.

(٣) أمين ، محمد محمد ، الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر عصر سلاطين المماليك ، القاهرة (١٩٨٠م) ، ص ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣؛ عثمان ، نظرية الوظيفة بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة ، الإسكندرية ، دار الوفاء ، (٢٠٠٠م) ، ص ٣٤٧ ؛ أبو رحاب ، محمد السيد ، مدارس المغرب الأقصى فى عصر بنى مرين ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، آداب سوهاج جامعة جنوب الوادى (١٩٩٩م)، ص٣٧٤ .

(٤) الحداد ، محمد حمزة ، الطراز المصرى لعمائر القاهرة الدينية خلال العصر العثمانى ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية الآثار ـ جامعة القاهرة ، (١٩٩٠م) ، ص ٧١٧ ؛ السلطان المنصور قلاوون ، القاهرة ، (١٩٩٣م) ، ص ص ٥٤ ـ ٥٥ .

(٥) الحداد ، عمائر القاهرة الخيرية فى العصر العثمانى ، دراسة تحليلية مقارنة ، المجلة التاريخية المصرية ، (قيد النشر) ، وفيه دراسة تحليلية مطولة عن المصطلح من خلال المعاجم اللغوية ووثائق الوقف والمصادر التاريخية فضلا عن النقوش الإنشائية .

(٦) مبارك ، على باشا ، ت ١٣١١م / ١٨٩٣م ، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، جـ٦ ، القاهرة ، ط٢ ، (١٩٨٧م) ، ص ١٦٦.

(٧) ابن أحمد الفراهيدى ، أبى عبد الرحمن الخليل ، ت ١٧٥هـ/ ٧٩١هـ، كتاب العين، جـ٧ ، تحقيق مهدى المخزومى وإبراهيم السامرائى ، بيروت (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ص ٢٦٣ .

(٨) الفاسى ، تقى الدين محمد بن على ، ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام جـ١ ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى ، بيروت (١٩٨٥م) ، ص ص ٥٣٨ ـ ٥٣٩.

(٩) انظر ، على سبيل المثال ، الحجرى ، الحاج محمد بن أحمد ، مساجد صنعاء عامرها وموافيها ، بيروت ، ط٢ ، (١٩٧٧م) ، ص ص ٣٠ ـ ٣١ .

(١٠) ومن أهمها النقش الإنشائى للسبيل الملحق بخانقاة وقبة السلطان الأشرف قانصوه الغورى على رأس شارع الغورية بالقاهرة ٩٠٩ ـ ٩١٠هـ/ ١٥٠٣ ـ ١٥٠٤م .

(١١) العلى ، صالح أحمد ، الحجاز فى صدر الإسلام ، دراسات فى أحواله العمرانية والإدارية، بيروت (١٩٩٠م) ، ص ص ١٣١ ، ٢٠٢، ٢٠٤ .

(١٢) ابن شبه ، أبو عمر بن شبه النميرى البصرى ، ت ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م ، تاريخ المدينة المنورة ، جـ١ ، تحقيق فهيم شلتوت ، جدة (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ، ص ١٥٥.

(١٣) ابن شبه ، تاريخ المدينة ، جـ١ ، ص ص ١٥٦ ـ ١٦٢؛ ابن سعد ، محمد بن سعد كاتب الواقدى ، ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م، الطبقات الكبرى ، جـ١ ، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ، بيروت ، دار الكتب العلمية (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ص٣٩٠ـ٣٩٣؛ البرزنجى ، جعفر بن إسماعيل المدنى ، ت١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م، نزهة الناظرين فى تاريخ مسجد سيد الأولين والآخرين ، تحقيق وتعليق أحمد سعيد بن سلم ، المدينة المنورة ، مكتبة بن سلم ، القاهرة، مكتبة الرفاعى ، ط٢(١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م). ص٢٨٦ـ٢٩٢.

(١٤) العلى ، الحجاز ، ص ١٥٢ ، وبالإضافة إلى الآبار عرفت مكة أيضاً الصهاريج ، وقد ورد ذكر الكثير منها فى المصادر التاريخية ، وحسبنا أن نشير إلى ما ذكره محمد صادق باشا فى عام ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م بقوله « وفى خارج البلد وفى بيوتها صهاريج مبنية نحو ثمانمائة تجتمع فيها مياه الأمطار وتغلق إلى وقت الحج للتجارة فيربحون فيها ربحًا جسيماً ... » .

صادق باشا ، محمد ، ت ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م ، كوكب الحج فى سفر المحمل بحراً وسيره براً ، بولاق ، المطبعة الأميرية (١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م) وقد أعيد نشره ضمن كتاب الرحلات الحجازية لمحمد صادق باشا ، إعداد وتحرير محمد همام فكرى ، بيروت، بدر للنشر (١٩٩٩م) ص ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

(١٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ٣ ، القاهرة (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) ص ٢٠٣ ، ٣٠٦، ط بيروت (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ص٢٣٢ .

(١٦) الطبرى ، أبى جعفر محمد بن جرير ، ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ٤ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ص٦٩ .

(١٧) الشافعى ، أبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى ، ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م ، كتاب الأم، جـ٣ ، بولاق (١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م) ص ٢٧٩ .

(١٨) طراوة ، حجازى حسن على ، مظاهر الإهتمام بالحج والحرمين الشريفين فى العصر الأموى ، القاهرة (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، ص١٨٥ ـ ٢٠٣ .

(١٩) الفاكهى ، أبى عبد الله محمد بن إسحاق ، من علماء ق ٣هـ/ ٩م ، أخبار مكة فى قديم الدهر وحديثه ، جـ٣ ، تحقيق عبد الملك بن دهيش ، مكة المكرمة (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ، ص ٩٧ ؛ الفاسى ، شفاء ، جـ١ ، ص٣٧ .

(٢٠) الدرعى ، ابن عبد السلام ، ملخص رحلتى ابن عبد السلام الدرعى المغربى ، عرض وتلخيص حمد الجاسر ، الرياض ، ط٢ ، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ، ص ١٢٧ .

(٢١) الأزرقى ، أبى الوليد محمد بن عبد الله ، ت بعد ٢٤٧هـ/ ٨١٦م ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، مجلد ١ ، تحقيق رشدى الصالح ملحس ، مكة المكرمة ، ط ٨ ، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ، ص ص ١٠٤ ـ ١٠٥ ، الفاسى ، شفاء الغرام ، جـ١ ، ص٤١٦ ؛ ابن ظهيرة ، محمد بن محمد بن أبى بكر القرشى المخزومى ، ت٩٨٦هـ/١٥٧٨م، الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ، تحقيق على عمر ، القاهرة (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، ص١٩١ .

(٢٢) الأزرقى ، أخبار مكة ، جـ٢ ، ص ٢٧٢ .

(٢٣) الفاسى ، شفاء الغرام ، جـ١ ، ص ٤١ ؛ ومما له دلالته أن هذا السبيل قد ظل باقيًا ومعروفًا حتى القرن ١٣هـ/ ١٩م كما يستدل من مشاهدات الرحالة ومنهم ابن أحمد القيسى فى رحلته ١٠٤٠ ـ ١٠٤٢هـ/ ١٦٣٠ ـ ١٦٣٣م حيث قال « ... ثم لسبيل الجوخى قريب من العمرة فيه نوائل (أكواخ) للقهوة فى أيام الحج » .

ابن أحمد القيسى ، أبى عبد الله محمد الشهير بالسراج الملقب بابن مليح ، أنس السارى والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب ١٠٤٠ ـ ١٠٤٢هـ/ ١٦٣٠ ـ ١٦٣٣م ، تحقيق محمد الفاسى ، فاس (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، ص ٧٦، ومنهم أبو القاسم الزيانى ـ وكانت رحلته لأداء الفريضة والزيارة عام ١١٦٩ ـ ١١٧٠هـ/ ١٧٥٥ ـ ١٧٥٦م ـ حيث قال « ثم سرنا إلى سبيل الخوجى (والصواب الجوخى) المعروف ورأينا جنان مكة دانية القطوف .. » الزيانى ، أبو القاسم ، (ت ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م) الترجمانة الكبرى فى أخبار المعمور براً وبحراً ، تحقيق عبد

الكريم الفيلالي ، الرباط (١٤١٢هـ/ ١٩٩١م) ص ٢٣٠، أما محمد صادق باشا فقد وصف هذا السبيل في عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م بقوله « وهو مبنى من قديم على يسار الطريق ، إلا أنه الآن خرب ، وكان يملأ من بئر الباشا الآتية ـ أى التى سيأتى ذكرها ـ .. » صادق باشا ، دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج ، ضمن كتاب الرحلات الحجازية السابق الإشارة إليه ، ص ٢٩٥ .

(٢٤) الفاسى ، شفاء الغرام ، جـ١ ، ص ٥٤٠.

(٢٥) غباشى ، عادل محمد نور ، المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة فى العصر العثمانى ، دراسة حضارية ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) ، ص ١٠٤ .

(٢٦) الفاسى ، شفاء الغرام ، جـ١ ، ص ٥٤٠؛ أما عن المكين الذى أشار إليه الفاسى فهو بركوت بن عبد الله الحبشى الشهير بالمكين (ت ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م) وكانت له فى طريق مكة ومنى وعرفات والتنعيم « آثار حسنة حفرها وأنشأها وحدائق » وأيضًا بذل أمواله فى سبيل للمعتمرين دون سبيل الجوخى وحوض للبهائم ، وذلك فى طريق المعتمرين فى سنة ثمان وثمانمائة وصهاريج بالتنعيم » .

النجم عمر ابن فهد ، نجم الدين عمر بن فهد الهاشمى المكى ، ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م ، الدر الكمين بذيل العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ، جـ١ ، دراسة وتحقيق عبد الملك بن دهيش ، ص ٦٥٥ ـ ٦٥٦ .

(٢٧) الفعر ، محمد فهد ، تطور الكتابات والنقوش فى الحجاز منذ فجر الإسلام حتى منتصف القرن السابع الهجرى ، جدة (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م) ، ص ص ٣٢٣ ـ ٣٢٨، لوحة ٦١.

(٢٨) ابن خلكان ، أبى العباس شمس الدين أحمد ، ت ٦٨١هـ/ ١٢٨١م ، وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان ، مجلد ٣ ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت (١٩٦٨م) ص ص ١١٣ ـ ١٢١ ـ ٢٧ ـ ٢٧٦ .

(٢٩) الفاسى ، شفاء الغرام ، جـ١ ، ص ٥٤٠ .

(٣٠) الفاسى ، شفاء الغرام ، جـ١ ـ ص ص ٥٣٩ ـ ٥٤٠؛ غباشى ، المنشآت المائية ، ص ص ١٠٥ ـ ١٠٨ ؛ النجم عمر ابن فهد ، الدر الكمين ، جـ١ ، ص ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥ ٤٣٤ ـ ٤٧٩ ، ٤٩٤ ـ ٤٩٥ ، جـ٢ ، ٧٥٣ ـ ٧٧١ ـ ٨٥٦ ـ ٨٨٦ ـ ١١٧٠ ـ ١٢١٨ ـ ١٣٠٣ ـ ١٣٠٩ ؛ إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، جـ٤ ، تحقيق وتقديم عبد الكريم على باز ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨) ،

ص ص ٥٢ ، ١١٩ ـ ١٢٠ ـ ٢٢١، ٢٤٥ ٢٦٣ ، ٢٩٨ ؛ ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٨٢ ؛ الحارثى ، عدنان محمد فايز ، عمارة المدرسة فى مصر والحجاز (فى القرن ٩هـ/ ١٥م) دراسة مقارنة ، جـ١ ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ، ص ١٧٦، ١٧٩، ١٩٠ .

(٣١) عدنان الحارثى ، عمارة المدرسة ، ص ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

(٣٢) النجم عمر ابن فهد ، الدر الكمين ، جـ١ ، ص ١٠٣، ١٢٠؛ العز ابن عمر بن فهد، عز الدين عبد العزيز ابن عمر بن فهد الهاشمى القرشى ، ت ٩٢٢ هـ/ ١٥١٦م ، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، جـ٢ ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ص ٥٢٢؛ القطبى النهر والى ، قطب الدين الحنفى ، ت ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م ، تاريخ القطبى المسمى كتاب الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ، نشره وشرحه وعلق عليه محمد طاهر الكردى الخطاط المكى ، مكة المشرفة (١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م) ص ٢٠٥ .

(٣٣) جار الله ابن فهد المكى ، جار الله ابن العز ابن النجم ، ت ٩٤٥هـ/ ١٥٤٧م ،، كتاب نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة اتحاف الورى (تاريخ مكة المكرمة من سنة ٩٢٢هـ إلى ٩٤٦هـ) ، ق ١ ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى ، فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) ، ص ص ٤٠ ، ٧٥ .

(٣٤) غباشى ، المنشآت المائية ، ص ص ٢٦٠ ـ ٢٦١ ؛ وعن عمارة عين عرفة وعين حنين فى عهد السلطان سليمان القانونى انظر ، القطبى النهروالى ، تاريخ القطبى ، ص٢٨١ ـ ٢٩٣ ؛ القاضى عيد ، القاضى حنيف الدين ابن القاضى محمد ، ت١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م، رسالة فى عمارة العينين عين نعمان وعين حنين ، دراسة وتحقيق ناصر بن على الحارثى ، إصدار لجنة المطبوعات فى التنشيط السياحى بمحافظة الطائف (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص٣٦ ـ ٤٦ .

(٣٥) بوركهارت ، جون لويس ، رحلات فى شبه جزيرة العرب ، ترجمة عبد العزيز الهلابى وعبد الرحمن الشيخ ، بيروت (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ، ص ص ١١٣ ـ ١١٤.

(٣٦) غباشى ، المنشآت المائية ، ص ٢٦١ .

(٣٧) المحبى ، محمد الأمين فضل الله بن محب الله الحموى الحنفى ، ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م ، خلاصة الأثر فى أخبار القرن الحادى عشر ، جـ٢ ، (مصر ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م) ، ص ٢١٥ .

(٣٨) الحداد ، بحوث ودراسات فى العمارة الإسلامية ، (الكتاب الأول) (القاهرة ٢٠٠٠م)، ص ص ٩٠ ـ ٩١ ؛ بيومى ، محمد على فهيم، مخصصات الحرمين الشريفين فى مصر إبان العصر العثمانى ، القاهرة (٢٠٠١م)، ص١٠٠ .

(٣٩) غباشى ، المنشآت المائية ، ص ٢٦٢ .

(٤٠) عبد الكريم القطبى ، عبد الكريم بن محب الدين ، ت ١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م ، أعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام ، نشر وتعليق أحمد محمد جمال وآخرون ، الرياض، ط٢ ، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ، ص ص ١٣٠ ـ ١٣١؛ العيدروسى ، محيى الدين عبد القادر ، ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م ، تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، بيروت (١٩٨٥م) ، ص ص ٤٤١ ـ ٤٤٢، السنجارى ، على بن تاج الدين بن تقى الدين ، ت ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م ، منائح الكرم فى أخبار مكة والبيت وولاة الحرم ، جـ٤ ، دراسة وتحقيق ماجدة فيصل زكريا ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) ، ص ٢٧٦؛ العصامى ، عبد الملك بن حسين ، ت ١١٠١هـ/ ١٦٩٠م ، وسمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى ، جـ٤ ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، د. ت ، ص ١٠٠ .

(٤١) الفعر ، الكتابات والنقوش فى الحجاز فى العصرين المملوكى والعثمانى ، رسالة دكتوراه، غير منشورة ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ، ص ص ٤٢٠ ـ ٤٢٥ .

(٤٢) عبد الكريم القطبى ، اعلام العلماء الأعلام ، ص ص ١٣٠ ـ ١٣٣ ؛ ومما له دلالته فى هذا الصدد أنه كان للسلطان مراد الثالث خيرات وأوقاف كثيرة ضمن أوقاف الدشيشة الكبرى (وهى أكبر الأوقاف المخصصة لأهالى الحرمين الشريفين من مصر) وهو الوقف الذى إشتهر بوقف الدشيشة المرادية . بيومى ، مخصصات الحرمين الشريفين ، ص٨٥ ـ ٩٢ .

(٤٣) عن : غباشى ، المنشآت ، ص ٢٦٣ .

(٤٤) باسلامة ، حسين عبد الله ، ت ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، تهامة، جدة ، ط٣ ، (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ، ص ٩٧ .

(٤٥) غباشي ، المنشآت ، ص ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ .

(٤٦) غباشي ، المنشآت ، ص ٢٦٦ .

(٤٧) غباشي ، أسبلة الملك عبد العزيز على الطريق بين مكة وجدة ، الدارة ، المجلد ١٩ ، العدد ٣، الرياض (ربيع الآخر ـ جمادى الآخر ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ، ص ص ٢٠٤ ـ ٢٢٠، الحارثي ، ناصر بن علي ، المعجم الأثري لمنطقة مكة المكرمة ، اصدار لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي بمحافظة الطائف (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، ص٨١ ـ ٨٢.

(٤٨) غباشي ، المنشآت ، ص ٢٦٧ ، ناصر الحارثي ، المعجم ، ص٨١ ـ ٨٢ .

(٤٩) العلي ، الحجاز ، ص ص ١٥٥ ـ ١٥٦.

(٥٠) الطبـري ، تاريخ الرسل ، جـ٦ ، ص ٤٣٧ ؛ جـ٧ ، ص ٤٦٥ ، ابن الأثيـر ، أبي الحسن علي الجزري الملقب بعز الدين ، ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م ، الكامل في التاريخ ، تحقيق محمد يوسف الدقاق ، بيروت (١٩٨٧م) ، مج ٤ ، ص ١٤٧؛ مج ٥ ، ص٤٢ .

(٥١) ابن أحمد القيسي ، أنس الساري ، ص ١٠٥ .

(٥٢) ابن أحمد القيسي ، أنس الساري ، ص ١٢٠ .

(٥٣) ابن أحمد القيسي ، أنس الساري ، ص ١٠٢.

(٥٤) ابن أحمد القيسي ، أنس الساري ، ص ص ٧٢ ، ٩٠.

(٥٥) الدرعي ، ملخص ، ص ص ١٠٣ ، ١٠٦؛ وقد شاهده أيضا الزياني حيث قال « ثم نزلنا بسبيل محسن المشهور وتنزهنا في خضرة أعشابه وسوحه الممطور ... » ثم ذكر نفس بيتي الشعر السابق الإشارة إليهما . الزياني ، الترجمانة ، ص ٢٢٨ ؛ هذا ولا تزال أطلال كل من هذين السبيلين باقية على الطريق بين بدر ومكة ، فالسبيل الأول ـ وهو سبيل خنائة ـ تقع أطلاله على بعد ٢كم جنوب مفرق الرايس ، والسبيل الثاني ـ وهو سبيل محسن ـ تقع أطلاله إلى الشرق من الطريق المعبد على بعد ٥كم من مفرق الرايس ؛ ويضيف العلامة حمد الجاسر فيذكر أن أول من أشار إلى سبيل محسن على الطريق هو محمد بن زين العابدين البكري المتوفى ١٠٢٨هـ/ ١٦١٨م ؛ الجاسر ، حمد ، رحلة البكري ، مجلة العرب ،السنة ١٢ ، الرياض (١٩٧٨)، ص٨٥٠ ؛ غبان ،

على بن إبراهيم ، الآثار الإسلامية فى شمال غرب المملكة ،مدخل عام ، الرياض (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ص٢٥٧ ، شكلا ١١٨ ـ ١١٩ .

(٥٦) ابن علوان ، مرتضى ، رحلة مرتضى بن علوان إلى الأماكن المقدسة والاحساء والكويت والعراق (١١٢٠ ـ ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م) ، دراسة وتحقيق سعيد بن عمر آل عمر ، جامعة الكويت ، مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية ، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ، ص ص ٥٩ ـ ٦٠ .

(٥٧) الدرعى ، ملخص ، ص ١١٤.

(٥٨) عدنان الحارثى ، عمارة المدرسة ، ص ص ٢٠٥ ، ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٥٩) الحصين ، محمد عبد الرحمن ، دور الوقف فى تأسيس المدارس والأربطة والمحافظة عليها فى المدينة المنورة ، مجلة جامعة الملك سعود ، المجلد ٩ ، العمارة والتخطيط ، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) ، ص ٧٠؛ الحارثى ، عمارة المدرسة ، ص ٢٥٩ .

(٦٠) غبان ، على حامد ، سبيل السلطان الغورى فى بدر ، مجلة كلية الآثار ، جامعة القاهرة، العدد ٩ (١٩٩٨م) ، مطبعة جامعة القاهرة (٢٠٠٢) .

(٦١) العمرى ، أمال أحمد ، دراسات فى وثائق داود باشا والى مصر ، القاهرة (١٩٨٦م) ، ص ١١ .

(٦٢) الحصين ، دور الوقف ، ص ص ٧٥ ـ ٧٦ .

(٦٣) الحصين ، دور الوقف ، ص ص ٧٦ ـ ٧٧ .

(٦٤) عبد المعطى ، حسام محمد ، العلاقات المصرية الحجازية فى القرن الثامن عشر ، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد ١٤٩ ، القاهرة (١٩٩٩م) ، ص ٢٨٤ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن وقف المحمودية ، انظر ، بيومى ، مخصصات الحرمين الشريفين ، ص٩٦ ـ ٩٧ .

(٦٥) چلبى ، أوليا ، ت ١٠٩٦هـ/ ١٦٨٤م ، الرحلة الحجازية ، ترجمها عن التركية وقدم لها الصفصافى أحمد المرسى ، القاهرة ، (١٩٩٩م) ، ص ص ١٣٩ ـ ١٤٠ .

(٦٦) البرزنجى ، نزهة الناظرين ،ص٢٠٨ .

(٦٨) ابن موسى ، على ، رسالة فى وصف المدينة المنورة فى سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م ، ضمن كتاب رسائل فى تاريخ المدينة ، قدم لها وأشرف على طبعها حمد الجاسر ، الرياض ، د. ت ، ص ص ٥٥ ـ ٥٦ .

(٦٩) الأزرقى ، أخبار مكة ، جـ١ ، ص ص ١٠٤ ـ ١٠٦ .

(٧٠) الأزرقى ، أخبار مكة ، جـ١ ، ص ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .

(٧١) الفاسى ، شفاء الغرام ، جـ١ ، ص ٤١٦ .

(٧٢) نستطيع أن نحدد تاريخ هذه العمارة الأقدم فيما بين سنة ٢٢٩هـ/ ٨٤٣م ـ وهى السنة التى غيرت فيها صفة السقاية فى خلافة الواثق بالله على حد قول الأزرقى ـ وسنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م ، وهى السنة التى شاهد فيها هذه القبة الرحالة ابن جبير ووصفها بقوله « وتلى قبة بئر زمزم من ورائها قبة الشراب ، وهى المنسوبة للعباس (رضى الله عنه) وتلى هذه القبة العباسية على انحراف عنها قبة ... وهاتان القبتان مخزنان لأوقاف البيت الكريم من مصاحف وكتب وأتوار شمع وغير ذلك ، والقبة العباسية لم تخل من نسبتها الشرابية لأنها كانت سقاية الحاج ، وهى حتى الآن يبرد فيها ماء زمزم ، ويخرج مع الليل لسقى الحج فى قلال يسمونها الدوارق ، كل دورق منها ذو مقبض واحد .. وفى النصف الأعلى من قبة زمزم والقبة العباسية التى تسمى السقاية ، والقبة التى تليها منحرفة عنها يسيراً ... صنعة من قرنصة الخشب عجيبة قد تأنق الصانع فيها ، وأحدق بأعلاها شباك مشرجب من الخشب رائق الحلل والتفاريج ... وينطبق على كل شرجب من تلك الشراجيب أعمدة حديد قد تركب بعضها على بعض كأنها شراجيب آخر ، وأحد أركان شباك الخشب المحدق بالقبة العباسية يتصل بأحد أركانه شباك القبة الأخرى حتى يتماسا فمن يكون فى أعلى سطح هذه ينتقل إلى سطح الأخرى من الركنين المذكورين، وداخل هذه القباب صنعة من القرنصة الجصية رائقة الحسن » .

ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ٧٦ ، ٨٤ ، وفى ضوء ذلك يمكن القول أن سقاية العباس بقبتها الخشبية ترجع إلى ما قبل ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م .

وقد ظلت هذه القبة باقية بعد ذلك وهو ما يستدل عليه من مشاهدات رحالة الغرب الإسلامى ـ بعد ابن جبير ـ ومن بينهم : العبدرى حيث قال « وبإزاء قبة زمزم قبة الشراب يسقى منها الناس فى رمضان ، ويجرى إليها الماء فى قناة تحت الأرض من قبة زمزم ، وبإزائها بيت صغير هو مخزن الكعبة .. » .

العبدرى ، رحلة العبدرى ، ص ٣٧٢ ، وابن بطوطة ووصفها بقوله « ويلى قبة زمزم ،

قبة الشراب المنسوبة إلى العباس رضى الله عنه ، وبابها إلى جهة الشمال ، وهى الآن يجعل بها ماء زمزم فى قلال يسمونها الدوارق ، وكل دورق له مقبض واحد ، وتترك بها ليبرد فيها الماء فيشربه الناس ، وبها اختزان المصاحف الكريمة والكتب التى للحرم الشريف ... » .

ابن بطوطة ، شمس الدين أبى عبد الله محمد اللواتى الطنجى ، ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م رحلة ابن بطوطة ، مج ١ ، تحقيق عبد الهادى التازى ، الرباط ، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦ .

ورغم أن وصف ابن بطوطة يخلو من الإشارة إلى كيفية بناء القبة ومفرداتها الخشبية من المقرنصات والشبابيك والشراجيب وغير ذلك من التفاصيل التى ذكرها ابن جبير ، إلا أن ذلك لا يعنى حدوث تغيير بعد ابن جبير ، كما يبدو للوهلة الأولى ، لأن ابن بطوطة لم يكن يعنى بوصف مثل هذه المفردات والعناصر والتفاصيل المعمارية والزخرفية فى رحلته كثيراً ـ على الرغم من أنه نقل عن ابن جبير فى كثير من المواضع نقلا يكاد يكون حرفيًا ـ وعلى ضوء ذلك يمكن القول أن سقاية العباس قد ظلت على عمارتها التى وصفها ابن جبير فى ضوء المعطيات التاريخية المتوافرة حتى الآن ـ حتى جرت عمارة لها فى سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م وهى العمارة التى وصفها الفاسى ؛ وبمقتضاها استبدلت القبة الخشبية بقبة أخرى من الآجر المكسو بطبقة من النورة على النحو السابق الإشارة إليه .

ومهما يكن من أمر فإن قبة العباس ـ ومثلها فى ذلك قبة الخزنة ـ قد ظلت باقية حتى مطلع ق ١٤هـ/ الربع الأخير من القرن ١٩م ، كما يستدل من الرسوم والتصاوير المنفذة على مختلف المواد (أشكال ١٢ ـ ١٤ ، لوحتا ١ ـ ٢) . ولمزيد من التفاصيل عن هذه الرسوم والتصاوير ، أنظر : رجب ، المسجد الحرام ، ص ص ١١٧ ـ ٢٧٢ .

أما فى سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م فقد تمت إزالة كل من قبة العباس وقبة الخزنة بأمر السلطان العثمانى عبد الحميد الثانى بناءاً على التقرير المرفوع له من محمد صادق ، الذى يقضى بضرورة إزالتهما ، لأنهما تحولان دون رؤية الكعبة المشرفة ، وقد ألحق بهذا التقرير خريطة لمنطقة الحرم المكى وتقرير هندسى عنها ، فضلا عن خمسة رسوم هندسية صغيرة منها ثلاثة رسوم لمبنى زمزم سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م والتعديلات المقترحة عليه من قبل محمد صادق (شكلا ١٥ ـ ١٦) .

حرب ، محمد ، خريطة لمنطقة الحرم المكى وتقرير هندسى عنها ، الدارة ، العدد ٣ ، السنة ١٣ ، الرياض ، ربيع الآخر ١٤٠٨هـ/ نوفمبر ١٩٨٧م ، ص ٤٥ ـ ٥٢ ، رجب، المسجد الحرام ، ص ١٨٥ ـ ١٩٠ .

(٧٣) نجيب ، محمد مصطفى ، دراسة جديدة على سبيل السلطان إينال المندثر والسبيل الحالى للسلطان قايتباى بالحرم الشريف بالقدس ، القاهرة ، مطبعة حسان (١٩٨٢)، ص ص ٧ ـ ٤٥؛ العسلى ، كامل جميل ، من آثارنا فى بيت المقدس ، عمان (١٩٨٢م) ، ص ص ٢٤٨ ـ ٢٥٥ .

Kessler, C., The Fountain of Sulltan Qay Tbay in the sacred precinct of Jerusalem, England, (1978), PP. 251 - 268 .

(٧٤) الحداد ، موسوعة العمارة الإسلامية ، المدخل (الكتاب الأول) ، القاهرة (١٩٩٨م)، ص ١٩٣ .

(٧٥) الفاسى ، شفاء الغرام ، جـ١ ، ص ٤٠٣ .

(٧٦) الفاسى ، شفاء الغرام ، جـ١ ، ص ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤ .

(٧٧) نويصر ، حسنى محمد ، منشأة الأمير فيروز الساقى بالقاهرة ، مجلة كلية الآثار ، العدد السادس (١٩٩٥م) ، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى ، ص ص ٢٤ ـ ٢٥ .

(٧٨) النجم عمر ابن فهد ، اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، جـ٤ ، ص ٥١٢ ـ ٥١٣ .

(٧٩) عدنان الحارثى ، عمارة المدرسة ، ص ٣٦٢ .

(٨٠) عدنان الحارثى ، عمارة المدرسة ، ص ٣٦٧ .

(٨١) عدنان الحارثى ، عمارة المدرسة ، ص ٣٧١ .

(٨٢) النجم عمر ابن فهد ، اتحاف الورى ، جـ٤ ، ص ٥١٤ .

(٨٣) عدنان الحارثى ، عمارة المدرسة ، ص ص ١٩٠ ، ٢٦٠ .

(٨٤) عدنان الحارثى ، عمارة المدرسة ، ص ص ١٩٠ ـ ١٩١ .

(٨٥) باسلامة ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٩٧ ؛ غباشى ، المنشآت ص ص ٢٦٤ ، ٢٨٣ ؛ أما عن مصطلح چشمة ونشأة هذا الطراز من الأسبلة وأنماطه المختلفة انظر :

الحداد ، العمارة الإسلامية فى أوروبا العثمانية ، الكويت (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص٢٤٢_٢٤٥ ، ٢٤٧_٢٤٩ ؛ الأسبلة السليمانية الباقية بالقدس الشريف ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، الرسالة ١٩٩ ، الحولية ٢٣ ، جامعة الكويت (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) ، ص٧ _ ١٦٠ .

(٨٦) الحسينى ، محمود حامد ، الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة ، القاهرة (١٩٨٨م) ص ص ٧١ _ ٧٦ .

(٨٧) رفعت ، إبراهيم باشا ، مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية ، مجلد ١ ، القاهرة ، ط٢ ، د. ت ، لوحة ٣٣١ (أعلى وأسفل) .

(٨٨) چلبى ، الرحلة الحجازية ، ص ١٣٦ ؛ ويضيف چلبى فيذكر أن بعض الأسبلة الأخرى نقشت عليها الآية الكريمة « عينا فيها تسمى سلسبيلا » .

(٨٩) غباشى ، أسبلة الملك عبد العزيز ، ص ص ٢١٢ ، ٢١٨ _ ٢١٩ .

(٩٠) ناصر الحارثى ، المعجم الأثرى ، ص٨٢ ، لوحة ١٢٥ .

ثبت الأشكال واللوحات

أولاً : الأشكال :

(شكل ١) رسم مسطح الحرم المكى وما يحيط به كما وضعه محمد صادق باشا سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م ، (عن : صادق باشا) .

(شكل ٢) مراحل توسعة وزيادة المسجد الحرام وأبوابه وما يحيط به من أبنية قبل التوسعة والزيادة السعودية . (عن : معروف) .

(شكل ٣) خريطة توضح موضع المدرسة الباسطية من الحرم المكى الشريف (مستخرجة من خريطة هيئة المساحة المصرية) .

(شكل ٤) تصور لما كانت عليه المدرسة الباسطية بمكة المكرمة . (عن : الحارثى) .

(شكل ٥) خريطة توضح موضع مدرسة قايتباى من الحرم المكى الشريف (مستخرجة من خريطة هيئة المساحة المصرية) .

(شكل ٦) خريطة الحرم المكى الشريف وما يحيط به ، ويتضح فيها تحديد موضع مدرسة قايتباى . (عن : هورخورنيه) .

(شكل ٧) تصور لما كانت عليه مدرسة قايتباى بمكة المكرمة (عن : الحارثى) .

(شكل ٨) خريطة توضح موضع المدرسة الباسطية بالمدينة المنورة (مستخرجة من خريطة هيئة المساحة المصرية) .

(شكل ٩) تصور لما كانت عليه المدرسة الباسطية بالمدينة المنورة (عن الحارثى) .

(شكل ١٠) مدرسة السلطان قايتباى الملحقة بالمسجد النبوى الشريف (عن : الشهرى) .

(١١) تخيل لما كانت عليه الواجهة الشرقية للمدرسة الباسطية بمكة المكرمة (عن : الحارثى) .

(١٢) تفريغ لرسم المسجد الحرام بمخطوط دليل الحج بمتحف طوب قابى سراى

فى استنابول ويؤرخ بمنتصف ق ١٠هـ/ ١٦م (وما يعنينا هو قبة العباس) . (عن : رجب) .

(شكل ١٣) تفريغ لرسم المسجد الحرام بمخطوط تركى بمجموعة Binny ، وهو يؤرخ بعهد السلطان أحمد الأول (١٠١٢ـ ١٠٢٦هـ/ ١٦٠٣ ـ ١٦١٧م) ، (وما يعنينا هو قبة العباس). (عن : رجب) .

(شكل ١٤) تفريغ لرسم المسجد الحرام بمخطوط تركى بمتحف طوب قابى سراى فى استانبول ويؤرخ بالقرن ١١هـ/ ١٧م (وما يعنينا هو قبة العباس) (عن : رجب) .

(شكل ١٥) خريطة تركية للمسجد الحرام فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى (١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م) (وما يعنينا هو خلو الخريطة من قبة العباس، فضلا عن قبة الخزنة لازالتهما فى التاريخ المذكور بأمر السلطان) (عن : حرب) .

(شكل ١٦) مبنى زمزم لمحمد صادق باشا ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م (عن : حرب) .

(شكل ١٧) سبيل الملك عبد العزيز المعروف بسبيل بئر أم القرون . (عن: غباشى) .

(شكل ١٨) سبيل الملك عبد العزيز المعروف بسبيل حداء . (عن : غباشى) .

(شكل ١٩) الواجهة الغربية لسبيل الملك عبد العزيز المعروف بسبيل حداء . (عن: غباشى) .

(شكل ٢٠) سبيل الملك عبد العزيز المعروف بسبيل بئر المقتلة . (عن : غباشى) .

(شكل ٢١) مسقط أفقى لصهريج الرملة (بئر العنيزية) بفلسطين ١٧٢هـ/ ٧٨٨م (وهو أقدم نموذج مؤكد لعمارة الصهاريج فى العمارة الإسلامية) (عن : Creswell) .

(شكل ٢٢) مسقط أفقى لصهريج السبيل الملحق بمدرسة السلطان محمود ١١٦٤هـ/ ١٧٥٠م برأس الحبانية من شارع بور سعيد (الخليج المصرى سابقًا) بالقاهرة . (عن : الحسينى) .

ثانياً : اللوحات :

(لوحة ١) صورة المسجد الحرام (وما يعنينا هو قبة العباس) فى مخطوطة لعبد الله خلوصى مؤرخة بسنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٤م محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة (سجل رقم ١٨١٦٩) . (عن : الباشا) .

(لوحة ٢) صورة المسجد الحرام (وما يعنينا هو قبة العباس) فى مخطوطة لكتاب موفق الخيرات بدار الكتب المصرية . (عن : الباشا) .

(لوحة ٣) سبيل منى ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م . (عن : رفعت) .

(لوحة ٤) الواجهة الغربية لسبيل الملك عبد العزيز المعروف بسبيل بئر أم القرون . (عن : غباشى) .

(لوحة ٥) الواجهة الغربية لسبيل الملك عبد العزيز المعروف بسبيل حداء . (عن : غباشى) .

(لوحة ٦) الواجهة الغربية لسبيل الملك عبـد العزيز المعروف بسبيل بئر المقتلة . (عن : غباشى) .

(لوحة ٧) فتحات السقيا فى سبيل حداء . (عن : غباشى) .

(لوحة ٨) قصبة (ماسورة أو أنبوبة) فخارية لنقل المياه من الحوض الخارجى الى سبيل حداء . (عن : غباشى) .

(لوحة ٩) النقش الإنشائى لسبيل الملك عبد العزيز المعروف بسبيل حداء . عن : غباشى) .

(لوحة ١٠) سبيل قايتباى بالقدس الشريف . (عن : العسلى) .

المصادر المراجع

أولا : المصادر العربية :

- ابن أحمد الفراهيدى ، أبى عبد الرحمن الخليل ، ت ١٧٥هـ/ ٧٩١م ، كتاب العين ، ج ٧ ، تحقيق مهدى المخزومى وإبراهيم السامرائى ، بيروت (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) .

- ابن أحمد القيسى ، أبى عبد الله محمد الشهير بالسراج الملقب بابن مليح : أنس السارى والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب ١٠٤٠ـ ١٠٤٢هـ/ ١٦٣٠ ـ ١٦٣٣م ، تحقيق محمد الفاسى ، فاس (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) .

- ابن الأثير ، أبى الحسن على الجزرى الملقب بعز الدين ، ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م ، الكامل فى التاريخ ، ١٠ مجلدات ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، بيروت (١٩٨٧م) .

- ابن بطوطة ، شمس الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى ، ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ٥ مجلدات ، تحقيق عبد الهادى التازى ، الرباط (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) .

- ابن جبير ، أبى الحسين محمد بن أحمد الكنانى البلنسى الأندلسى ، ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م ، رحلة ابن جبير المسماة رسالة اعتبار الناسك فى ذكر الآثار الكريمة والمناسك ، تقديم محمد مصطفى زيادة ، بيروت ، دار صادر ، ط ٢ ، د . ت .

- ابن خلكان ، أبى العباس شمس الدين أحمد ، ت ٦٨١هـ/ ١٢٨١م ، وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان ، ٨ مجلدات ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر (١٩٦٨م) .

- ابن سعد ، محمد بن سعد كاتب الواقدى ، ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م ، : الطبقات الكبرى ، ج ٣ ، القاهرة (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) ، جـ١ ، جـ٣ ،

دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ، بيروت ، دار الكتب العلمية (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

- ابن شبه ، أبي زيد عمر بن شبه النميري البصري ، ت ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م ، : تاريخ المدينة المنورة ، ٤ أجزاء ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، جدة (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) .
- ابن علوان ، مرتضى ، رحلة مرتضى بن علوان إلى الأماكن المقدسة والاحساء والكويت والعراق (١١٢٠ - ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م) ، دراسة وتحقيق سعيد بن عمر آل عمر ، جامعة الكويت ، مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) .
- ابن موسى ، علي : رسالة في وصف المدينة المنورة في سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م ، ضمن كتاب رسائل في تاريخ المدينة ، قدم لها وأشرف على طبعها حمد الجاسر ، الرياض ، د . ت.
- الأزرقي ، أبي الوليد محمد بن عبد الله ، ت بعد ٢٤٧هـ/ ٨٦١م ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، مجلدان ، تحقيق رشدي الصالح ملحس ، مكة المكرمة ، ط٨ ، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) .
- البرزنجي ، السيد جعفر بن السيد إسماعيل المدني ، نزهة الناظرين في تاريخ مسجد سيد الأولين والآخرين ، تحقيق أحمد سعيد بن سلم ، القاهرة (١٩٩٥) ، ط٢ (١٩٩٨م) .
- البكري ، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي ، ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٣م ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ٤ أجزاء ، حققه وضبطه مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت ط٣ ، (١٩٨٣م) .
- جار الله ابن فهد المكي ، جار الله ابن العز بن النجم ، ت ٩٤٥هـ/ ١٥٤٧م، : كتاب نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة اتحاف الورى (تاريخ مكة المكرمة من سنة ٩٢٢هـ إلى ٩٤٦هـ) . قسمان ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، جدة ، لندن مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) .

- الحموى ، ياقوت ، ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م : معجم البلدان ، ٨ مجلدات ، القاهرة ١٩٠٦م.
- الدرعى ، ابن عبد السلام : ملخص رحلتى ابن عبد السلام الدرعى المغربى ، عرض وتلخيص حمد الجاسر ، الرياض ط٢ ، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) .
- رفعت ، إبراهيم باشا : مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية ، مجلدان ، القاهرة ، ط٢ ، د. ت .
- الزيانى ، أبو القاسم ، ت ١٢٧٩هـ/ ١٨٣٣م : الترجمانة الكبرى فى أخبار المعمور برا وبحراً ، تحقيق عبد الكريم الفيلالى ، الرباط ، (١٤١٢هـ/ ١٩٩١م) .
- السنجارى ، على بن تاج الدين بن تقى الدين ، ت ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م ، : منائح الكرم فى أخبار مكة والبيت وولاة الحرم ، ٦ أجزاء ، تحقيق جميل عبد الله محمد المصرى وآخرون ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) .
- الشافعى ، أبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى ، ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م : كتاب الأم ، جـ٣ ، بولاق (١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م) .
- صادق باشا ، محمد ، ت ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م ، : الرحلات الحجازية إعداد وتحرير محمد همام فكرى ، بيروت (١٩٩٩م) .
- الطبرى ، أبى جعفر محمد بن جرير ، ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م : تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبرى ، ١٠ أجزاء ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م) .
- ابن ظهيرة ، محمد بن محمد بن أبى بكر القرشى المخزومى ، ت٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م، الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ، تحقيق على عمر ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م).
- عبد الكريم القطبى ، عبد الكريم بن محب الدين ، ت ١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م، : اعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام ، نشر وتعليق أحمد محمد جمال وآخرون ، الرياض ، ط٢ (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) .

- العز ابن عمر ابن فهد ، عز الدين عبد العزيز ابن عمر ابن فهد الهاشمى القرشى ت ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م ، : غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، ج٢، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) .

- العبدرى ، أبى عبد الله محمد بن أحمد بن سعود ، ت بعد ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م ، رحلة العبدرى ، تحقيق على إبراهيم كروى ، قدم لها شاكر الفحام ، دمشق (١٩٩٩م) .

- العصامى ، عبد الملك بن حسين ، ت ١١٠١هـ/ ١٦٩٠م ، سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى ، جـ٤ ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، د. ت .

- القاضى عيد ، القاضى حنيف الدين ابن القاضى محمد ، ت١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م، رسالة فى عمارة العينين ، عين نعمان وعين حنين ، دراسة وتحقيق ناصر بن على الحارثى ، إصدار لجنة المطبوعات فى التنشيط السياحى بمحافظة الطائف (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

- العيدروسى ، محيى الدين عبد القادر ، ت ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م : تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، بيروت (١٩٨٥م) .

- الفاسى ، تقى الدين محمد بن على ، ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، جزءان ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى ، بيروت (١٩٨٥م) .

- الفاكهى ، أبى عبد الله محمد ابن إسحاق ، من علماء ق ٣هـ/ ٩م ، : أخبار مكة فى قديم الدهر وحديثه ، ٦ أجزاء ، تحقيق عبد الملك بن دهيش ، مكة المكرمة (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) .

- القطبى النهر والى ، قطب الدين الحنفى ، ت ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م ، : تاريخ القطبى المسمى كتاب الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ، نشره وشرحه وعلق عليه محمد طاهر الكردى الخطاط ، مكة المشرفة ، (١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م).

- مبارك ، على باشا ، ت ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م ، : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ٢٠ جزء ، بولاق (١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م) ، (وقد أعيد نشرها وما يهمنا هنا هو الأجزاء الستة الخاصة بالقاهرة وخططها وآثارها ، القاهرة ١٩٨٠ـ ١٩٨٧م) .
- المحبى ، محمد الأمين فضل الله بن محب الله الحموى الحنفى ، ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م : خلاصة الأثر فى أخبار القرن الحادى عشر ، ٤ أجزاء، مصر (١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م) ، ط ٢ ، بيروت ، د. ت .
- النجم عمر ابن فهد ، نجم الدين عمر ابن فهد الهاشمى المكى ، ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م ، : الدر الكمين بذيل العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ، ٣ أجزاء ، دراسة وتحقيق عبد الملك بن دهيش ، دار خضر ، بيروت ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م ؛ إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، جـ٤ ، تحقيق وتقديم عبد الكريم على باز، مكة المكرمة، جامعة أم القرى ، (١٤٠٨م/ ١٩٨٨م).

ثانياً : المصادر التركية والأوروبية المُعربة :

- بوركهارت ، جون لويس ، رحلات فى شبه جزيرة العرب ، ترجمة عبد العزيز الهلابى وعبد الرحمن الشيخ ، بيروت ، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) .
- چلبى ، أوليا ، ت ١٠٩٦هـ/ ١٦٨٤م ، : الرحلة الحجازية ، ترجمها عن التركية وقدم لها الصفصافى أحمد المرسى ، القاهرة (١٩٩٩م) .
- هورخورنيه ، سنوك ، صفحات من تاريخ مكة فى نهاية القرن الثالث عشر ، ترجمة محمد السريانى ومعراج ميرزا ، مكة المكرمة (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م) .

ثالثاً : المراجع العربية :

- أبو رحاب ، محمد السيد ، مدارس المغرب الأقصى فى عصر بنى مرين ، ماجستير ، غير منشورة ، آداب سوهاج ، جامعة جنوب الوادى (١٩٩٩م).
- الباشا ، حسن ، ت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م ، مدخل إلى الآثار الإسلامية ، القاهرة ، ط٢ ، (١٩٩٠م)؛ موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية ، ٥ مجلدات ، بيروت (١٩٩٩م) .

- أمين ، محمد محمد ، الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ، عصر السلاطين المماليك ، القاهرة (١٩٨٠م) .
- باسلامة ، حسين عبد الله ت ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، تهامة ، جدة ط ٣ ، (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) .
- الحارثى ، عدنان محمد فايز ، : عمارة المدرسة فى مصر والحجاز (فى القرن ٩هـ/ ١٥م) ، دراسة مقارنة ، جزءان ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) .
- الحارثى ، ناصر بن على ، المعجم الأثرى لمنطقة مكة المكرمة ، إصدار لجنة المطبوعات فى التنشيط السياحى بمحافظة الطائف (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).
- الحجرى ، الحاج محمد بن أحمد ، : مساجد صنعاء عامرها وموفيها بيروت ، ط٢ ، (١٩٧٧م) .
- الحداد ، محمد حمزة إسماعيل ، : السلطان المنصور قلاوون ، القاهرة (١٩٩٣م) ؛ بحوث ودراسات فى العمارة الإسلامية (الكتاب الأول) القاهرة ، ط١ (١٩٩٦م) ، ط ٢ (٢٠٠٠م) ؛ موسوعة العمارة الإسلامية، المدخل (الكتاب الأول) ، القاهرة (١٩٩٨) ؛ العمارة الإسلامية فى أوروبا العثمانية ، المجلد الأول ، مجلس النشر العلمى ، جامعة الكويت (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)؛ الأسبلة السليمانية الباقية بالقدس الشريف ، حوليات الآداب والعلوم الإجتماعية ، الرسالة ١٩٩ ، الحولية ٢٣ ، مجلس النشر العلمى ، جامعة الكويت (١٤٢٣ ـ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢ ـ ٢٠٠٣م) .
- حرب ، محمد ، خريطة لمنطقة الحرم المكى وتقرير هندسى عنها ، الدارة ، العدد ٣ ، السنة ١٣ ، الرياض ، ربيع الآخر ١٤٠٨هـ/ نوفمبر ١٩٨٧م .
- الحسينى ، محمود حامد : الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة ، القاهرة (١٩٨٨م) .
- الحصين ، محمد عبد الرحمن ، : دور الوقف فى تأسيس المدارس والأربطة والمحافظة عليها فى المدينة المنورة ، مجلة جامعة الملك سعود ، المجلد ٩ ، العمارة والتخطيط (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) .

- الحلوانى ، سعد بدير ، : تعمير المدينة المنورة (١٨١٢ـ ١٨٤٠م) ، القاهرة (١٩٩٤م) .
- الكحلاوى ، محمد محمد ، السقايات المغربية بمدينتى فاس ومراكش ، دراسة أثرية مقارنة مع الأسبلة المملوكية بالقاهرة ، مجلة آداب قنا ، جامعة جنوب الوادى ، العدد الرابع (١٩٩٥م).
- طراوة ، حجازى حسن على ، مظاهر الإهتمام بالحج والحرمين الشريفين فى العصر الأموى ، القاهرة ، مكتبة زهراء الشرق (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م).
- عبد المعطى ، حسام محمد ، : العلاقات المصرية الحجازية فى القرن الثامن عشر ، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد ١٤٩، القاهرة (١٩٩٩م).
- عثمان ، محمد عبد الستار ، : أسبلة القاهرة المملوكية ، مجلة المتحف العربى ، السنة ٢ ، العدد ٣ ، الكويت ، (جمادى الأول ـ رجب ١٤٠٧هـ/ يناير ـ مارس ١٩٨٧م) ؛ نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة ، الإسكندرية ، دار الوفاء (٢٠٠٠م) .
- العسلى ، كامل جميل ، : من آثارنا فى بيت المقدس، عمان ، (١٩٨٢م).
- العلى ، صالح أحمد ، : الحجاز فى صدر الإسلام ، دراسات فى أحواله العمرانية والإدارية ، بيروت (١٩٩٠م) .
- العمرى ، آمال أحمد ، : دراسات فى وثائق داود باشا والى مصر ، القاهرة (١٩٨٦م) .
- غباشى ، عادل محمد نور ، : المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة فى العصر العثمانى ، دراسة حضارية ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) .

: أسبلة الملك عبد العزيز على الطريق بين مكة وجدة ، الدارة ، المجلد ١٩ ، العدد ٣ ، الرياض ، (ربيع الآخر ـ جمادى الآخر ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) .

- الفعر ، محمد فهد ، : تطور الكتابات والنقوش فى الحجاز منذ فجر الإسلام حتى منتصف القرن السابع الهجرى ، جدة (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م) .

: الكتابات والنقوش فى الحجاز فى العصرين المملوكى والعثمانى ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، مكة المكرمة جامعة أم القرى (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

- نجيب ، محمد مصطفى ، : دراسة جديدة على سبيل السلطان إينال المندثر والسبيل الحالى للسلطان قايتباى بالحرم الشريف بالقدس ، القاهرة ، مطبعة حسان (١٩٨٢م) .

- نويصر حسنى محمد ، : منشأة الأمير فيروز الساقى بالقاهرة ، مجلة كلية الآثار، العدد ٦ (١٩٩٥م) ، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى .

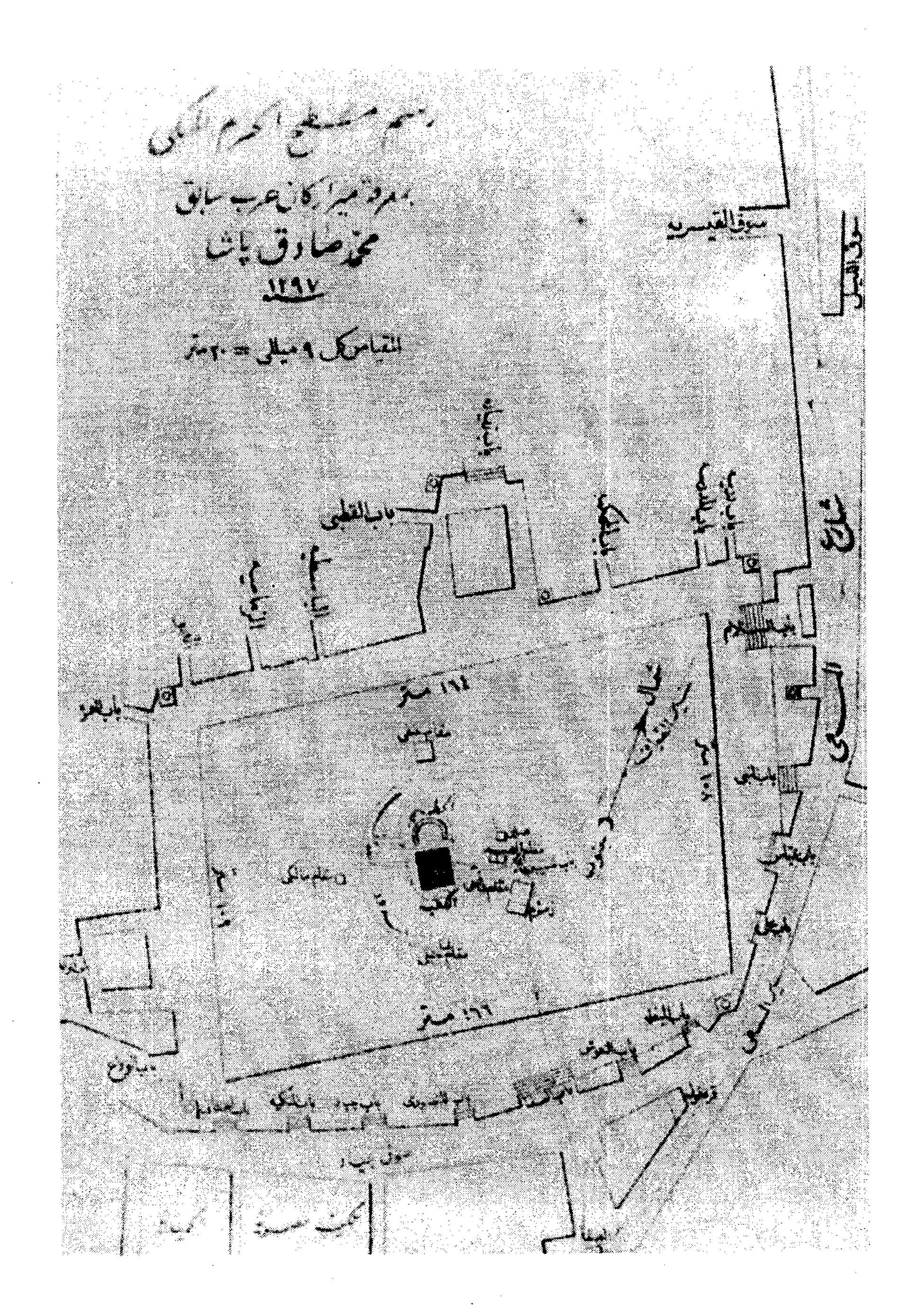
رابعًا : المراجع الأجنبية :

- Creswell, K. A. C., and Allan, J. W., : Ashort account of Early Muslim Architecture, A. U. c. (1989).

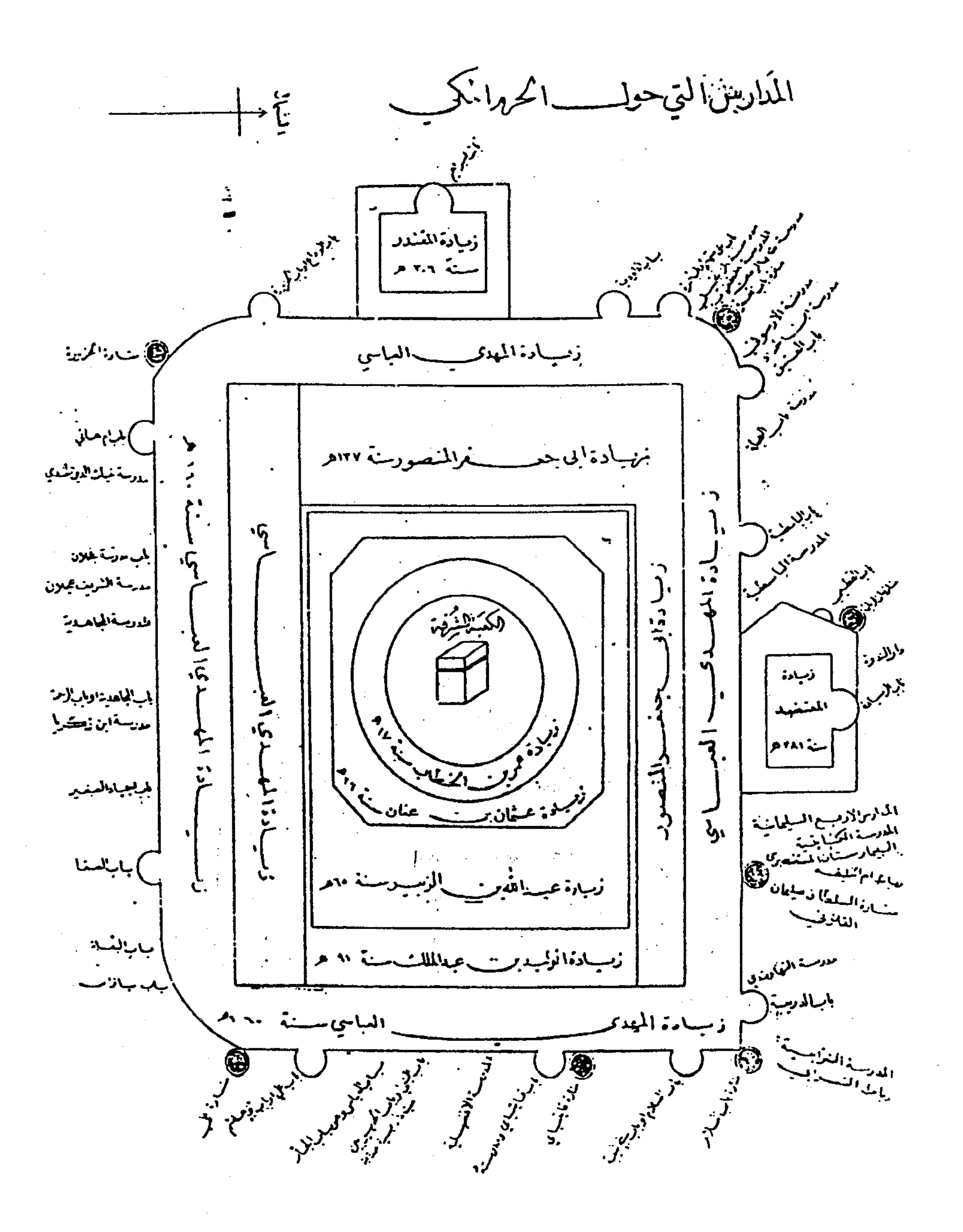
- Kessler, C., The Fountain of Sultan Qaytbay in the sacred precinct of Jerusalem, England, (1978).

- Mostafa, S. L., The Cairene sabil : form and Meaning, Mu Qarnas, vol, 6, Leiden E. J. Brill, (1989) .

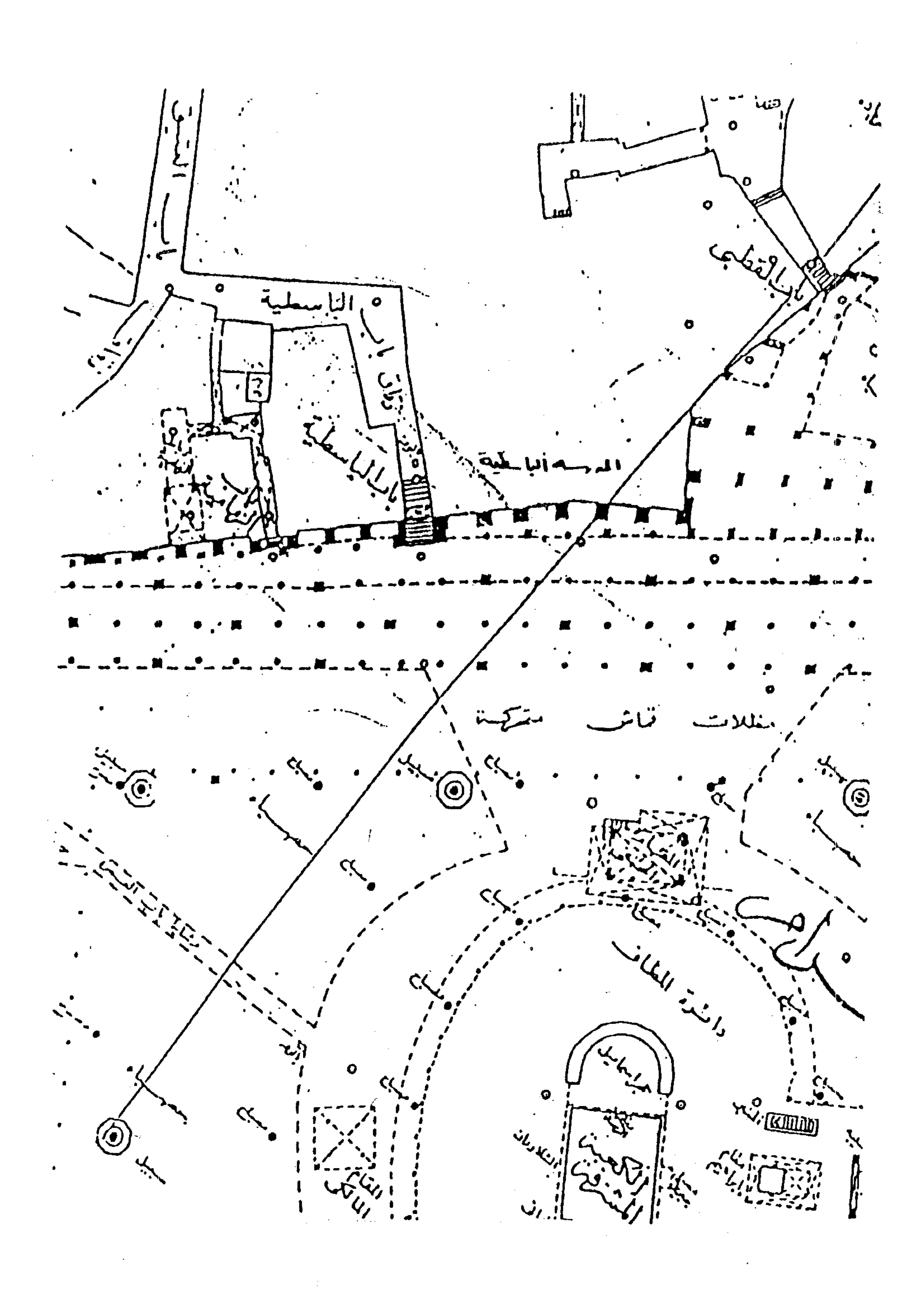
الأشكال واللوحات



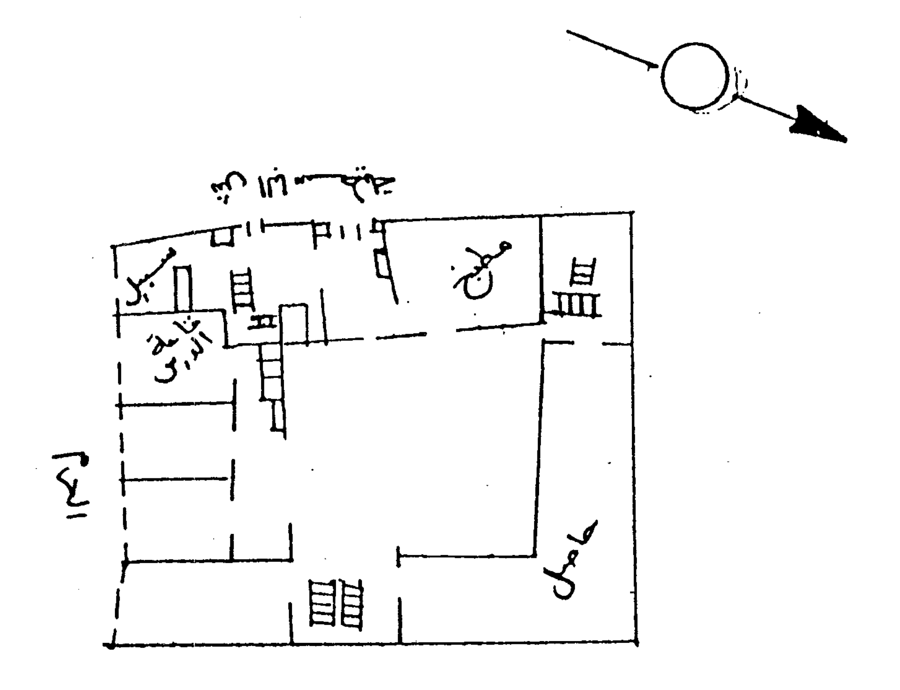
(شكل ١) رسم مسطح الحرم المكي وما يحيط به كما وضعه محمد صادق باشا سنة ١٢٩٧ هـ / ١٨٨٠م . (عن : صادق باشا) .



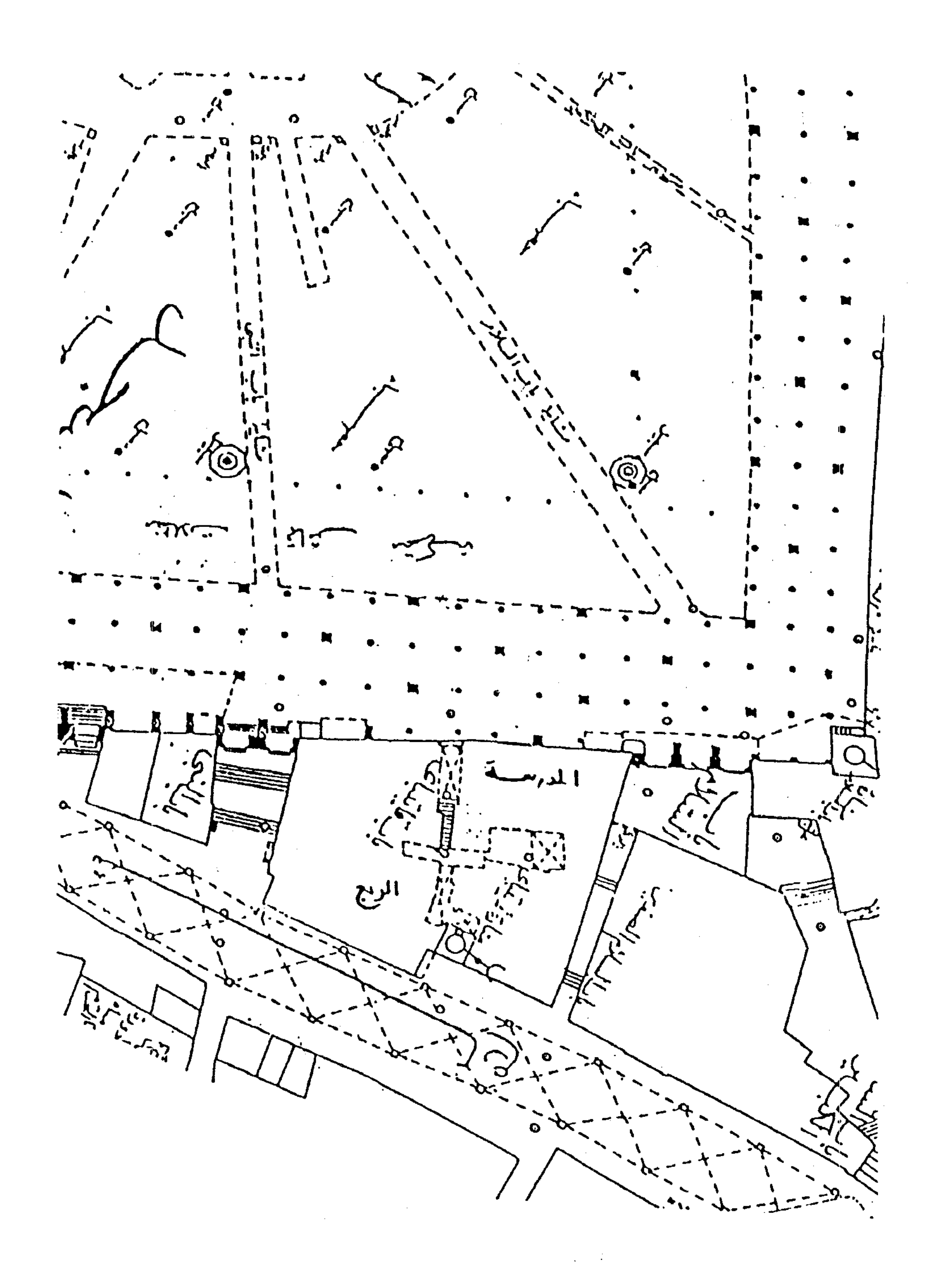
(**شكل ٢**) مراحل توسعة وزيادة المسجد الحرام وأبوابه وما يحيط به أبنية قبل التوسعة والزيادة السعودية . (عن : معروف) .



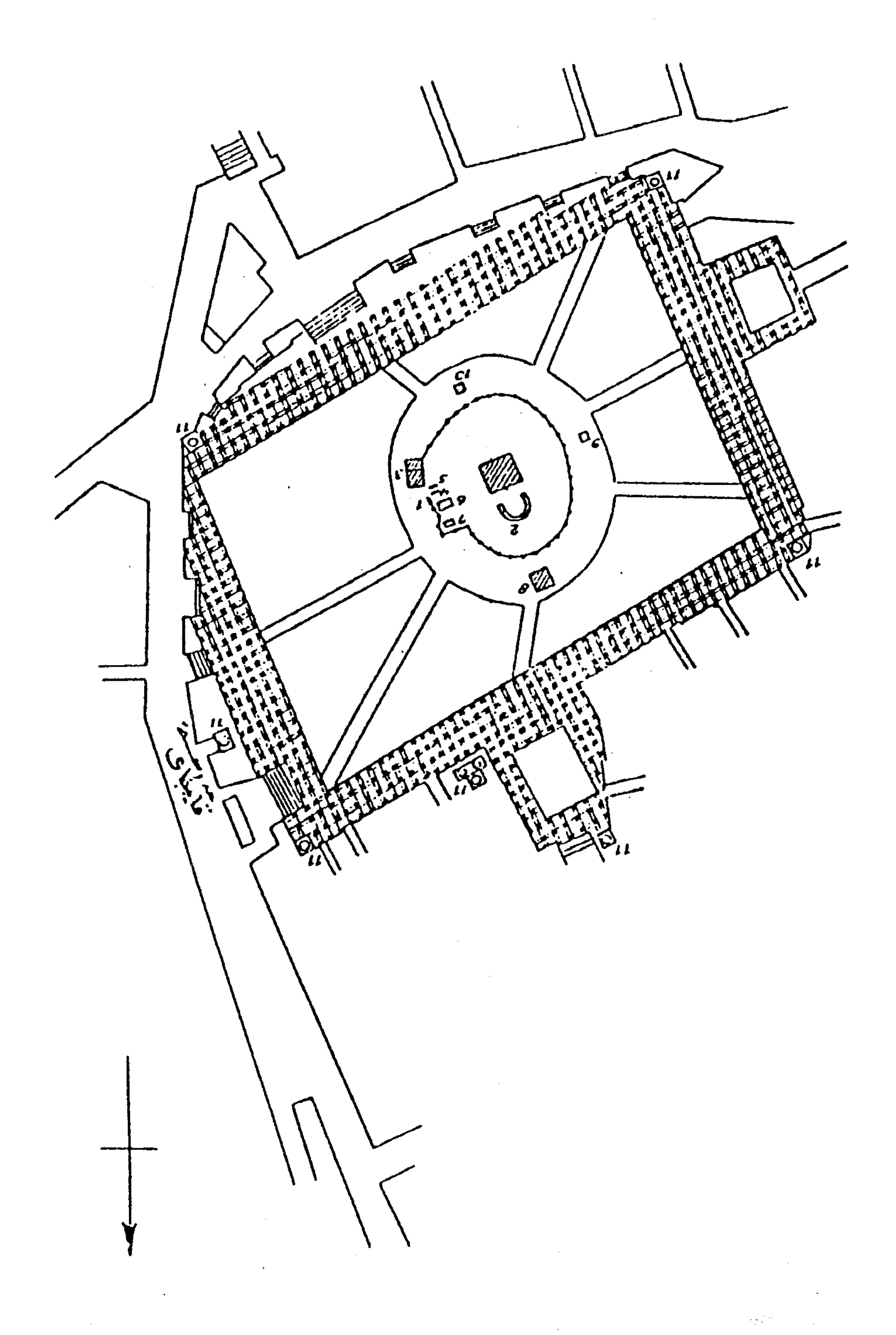
(**شكل ٣**) خريطة توضح موضع المدرسة الباسطية من الحرم المكي الشريف (مستخرجة من خريطة هيئة المساحة المصرية) .



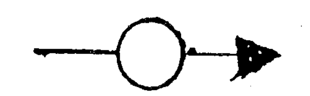
(**شكل ٤**) تصور لما كانت عليه المدرسة الباسطية بمكة المكرمة .
(عن : الحارثي) .

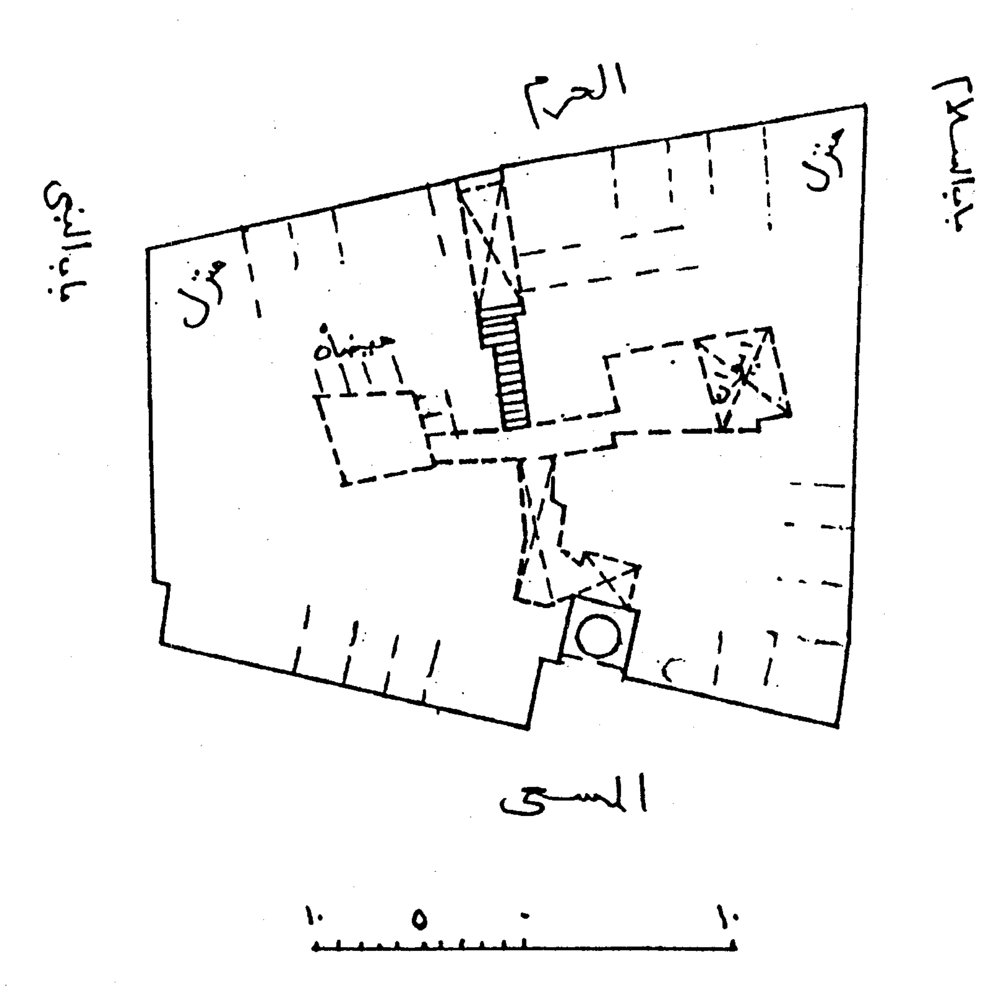


(**شكل ٥**) خريطة توضح موضع مدرسة قايتباي من الحرم المكي الشريف
(مستخرجة من خريطة هيئة المساحة المصرية) .

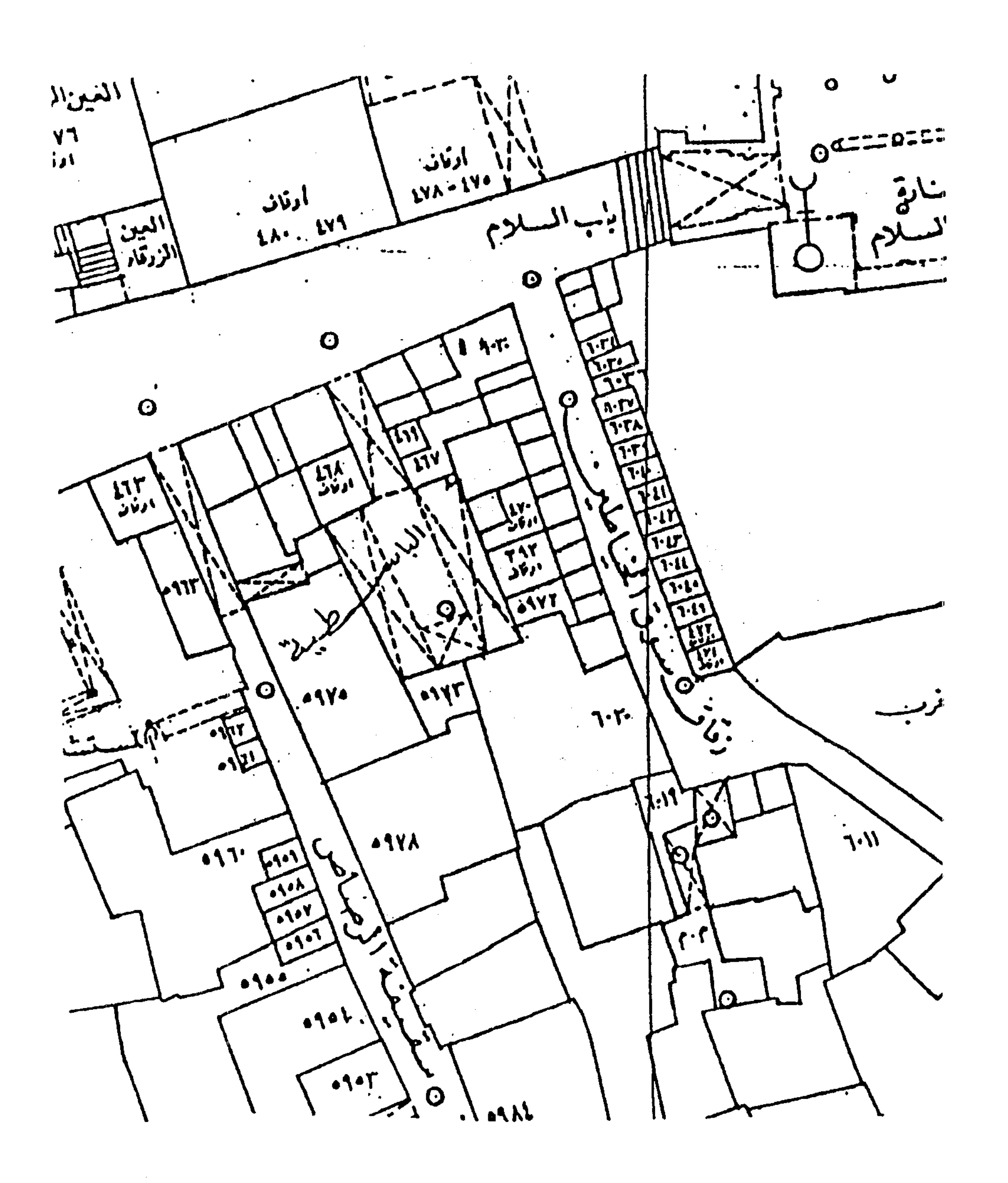


(**شكل ٦**) خريطة الحرم المكي الشريف وما يحيط به ، ويتضح فيها تحديد موضع مدرسة قايتيباي . (عن : هورخورنيه) .

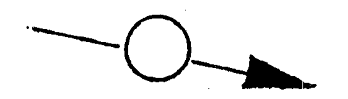


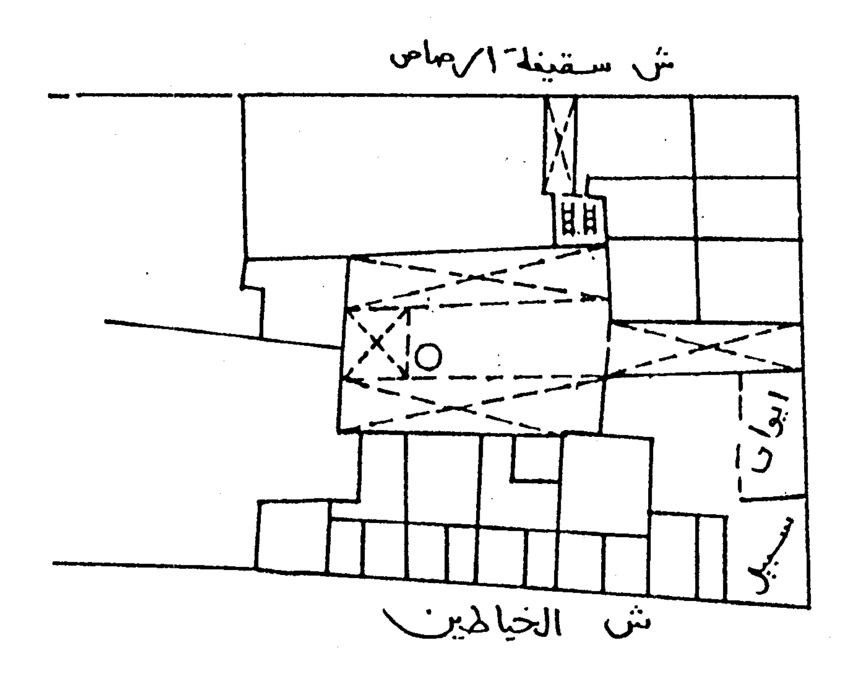


(**شكل ٧**) تصور لما كانت عليه مدرسة قايتباي بمكة المكرمة (عن : الحارثي) .



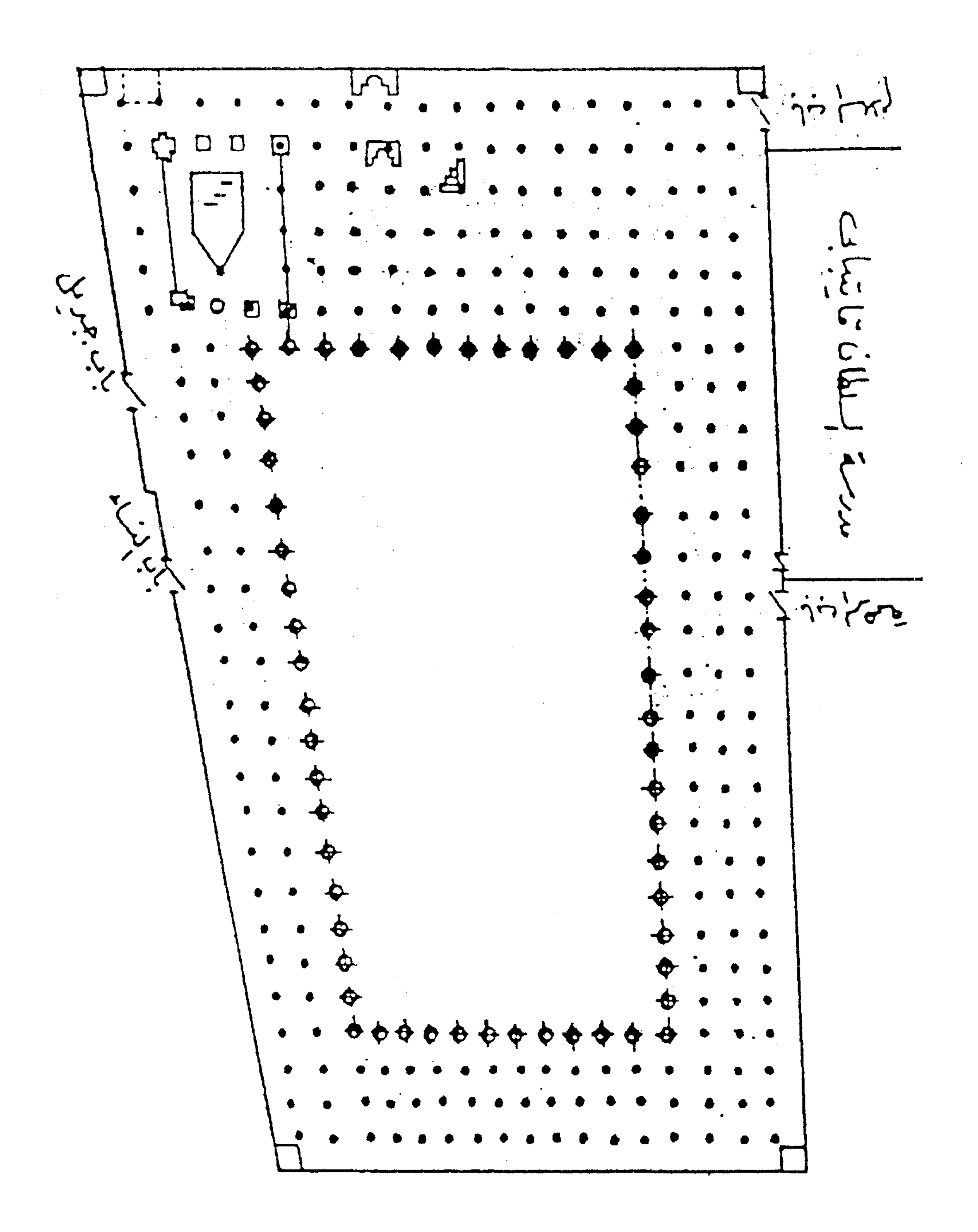
(**شكل ٨**) خريطة توضح موضع المدرسة الباسطية بالمدينة المنورة
(مستخرجة من خريطة هيئة المساحة المصرية) .



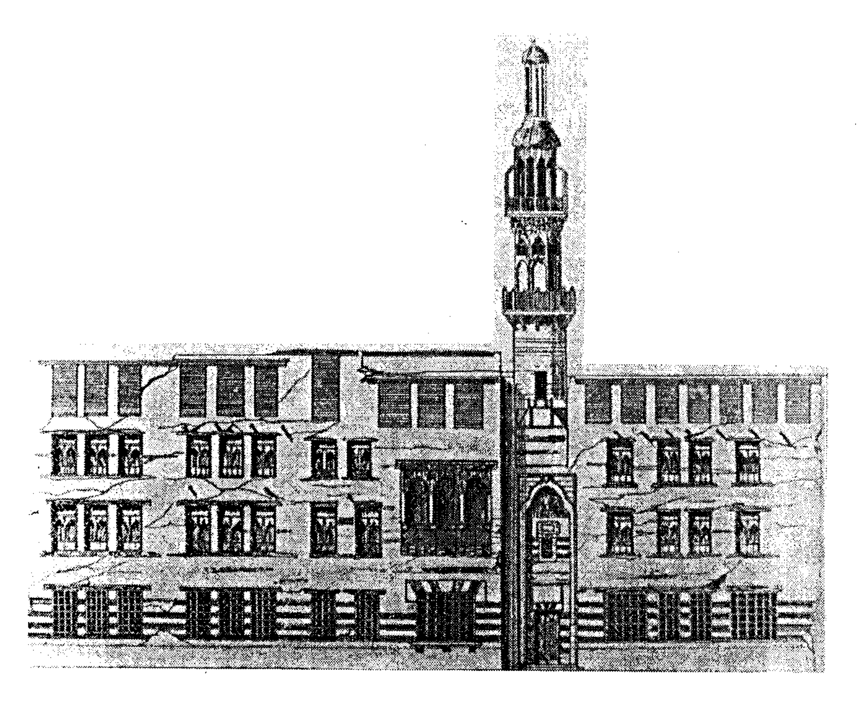


١٠ ٠ ٥ ١٠

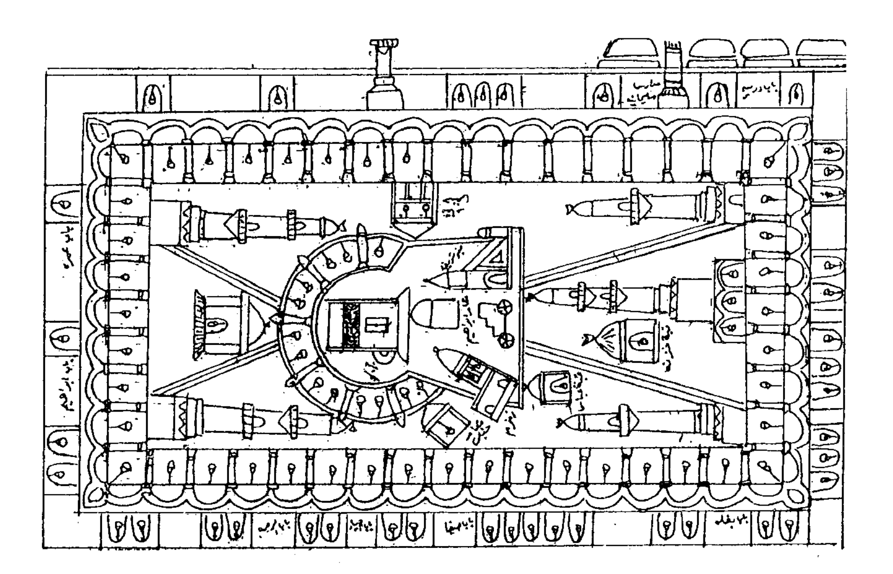
(**شكل ٩**) تصور لما كانت عليه المدرسة الباسطية بالمدينة المنورة
(عن : الحارثي) .



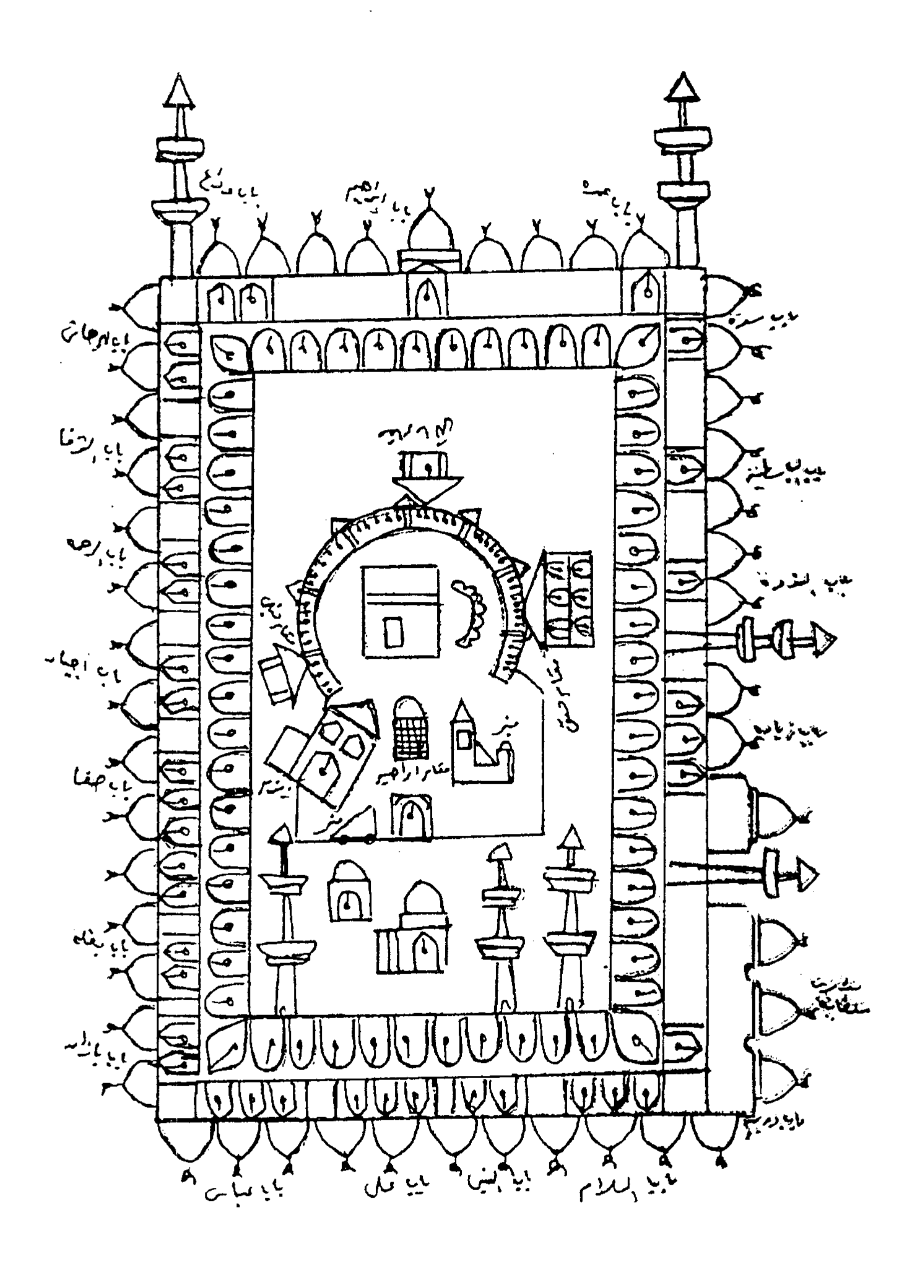
(**شكل ١٠**) موضع مدرسة السلطان قايتباي الملحقة بالمسجد النبوي الشريف
(عن : الشهري) .



(**شكل ١١**) تخيل لما كانت عليه الواجهة الشرقية لمدرسة قايتباي بمكة المكرمة (عن : الحارثي) .

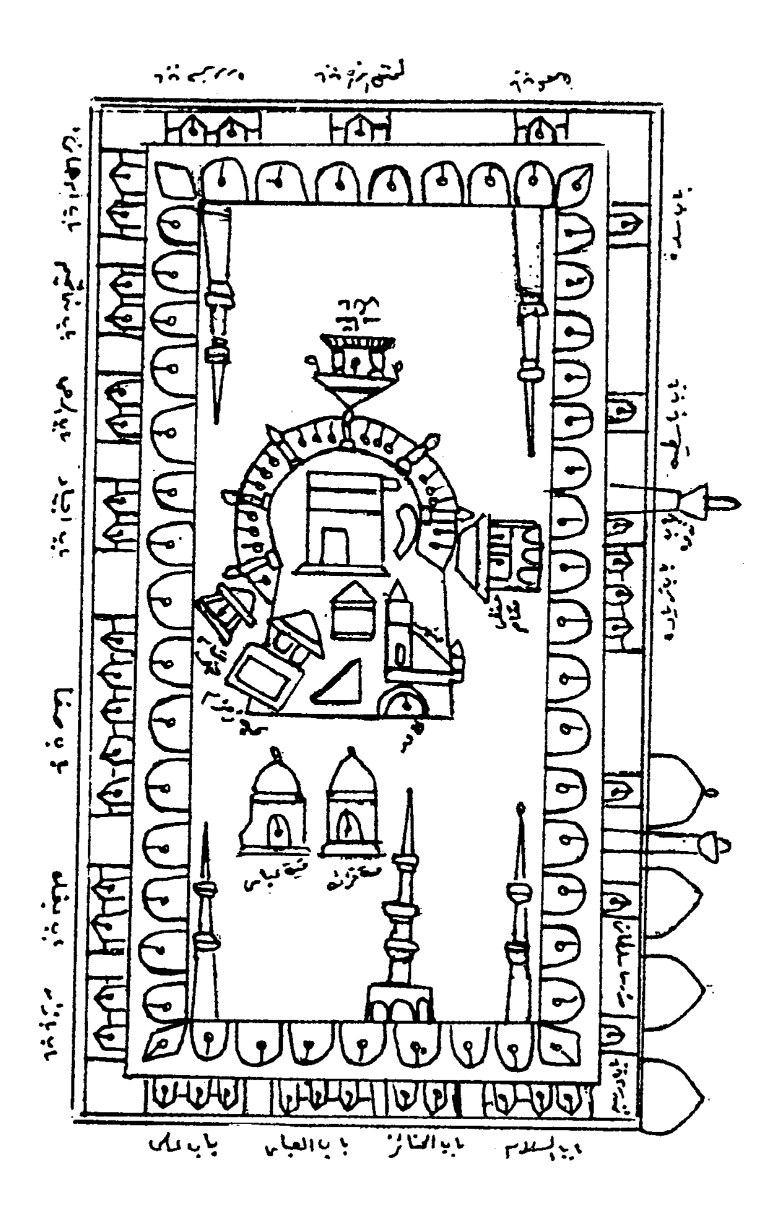


(**شكل ١٢**) تفريغ لرسم المسجد بمخطوط دليل الحج بمتحف طوب قابي سراي في استانبول ويؤرخ بمنتصف ق ١٠ هـ/١٦م (وما يعنينا هو قبة العباس) . (عن : رجب) .

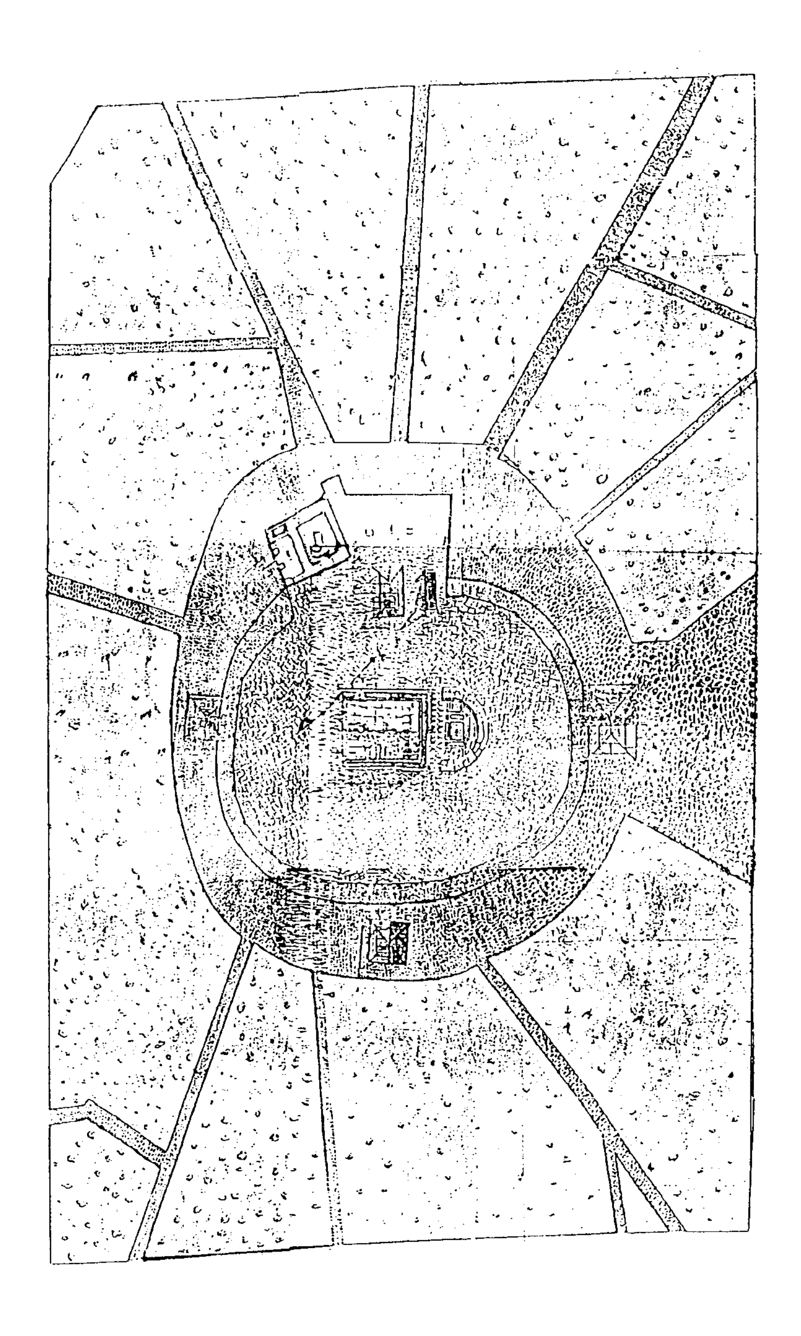


(**شكل ١٣**) تفريغ لرسم المسجد بمخطوط تركي بمجموعة Binny ، وهو يؤرخ بعهد السلطان أحمد الأول (١٠١٢ - ١٠٢٦ هـ / ١٦٠٣ - ١٦١٧ م)

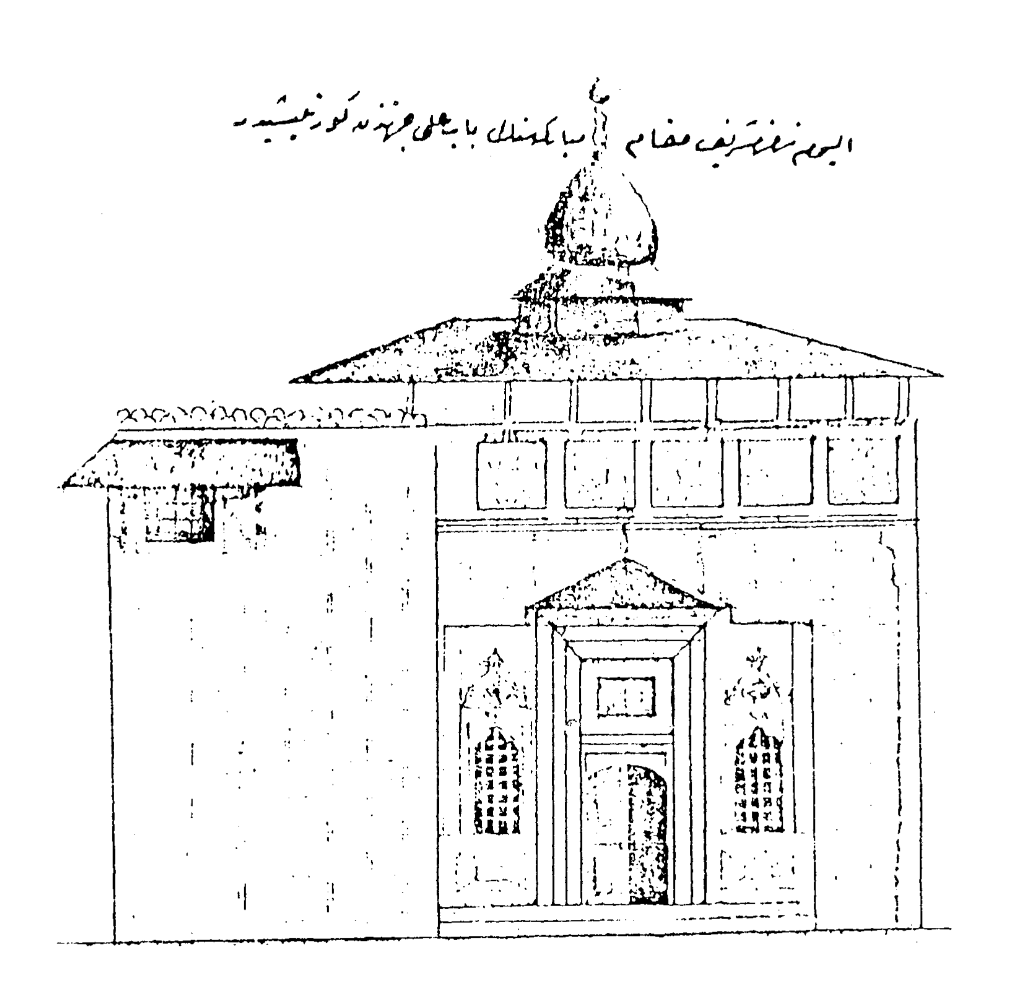
(وما يعنينا هو قبة العباس) . (عن : رجب) .



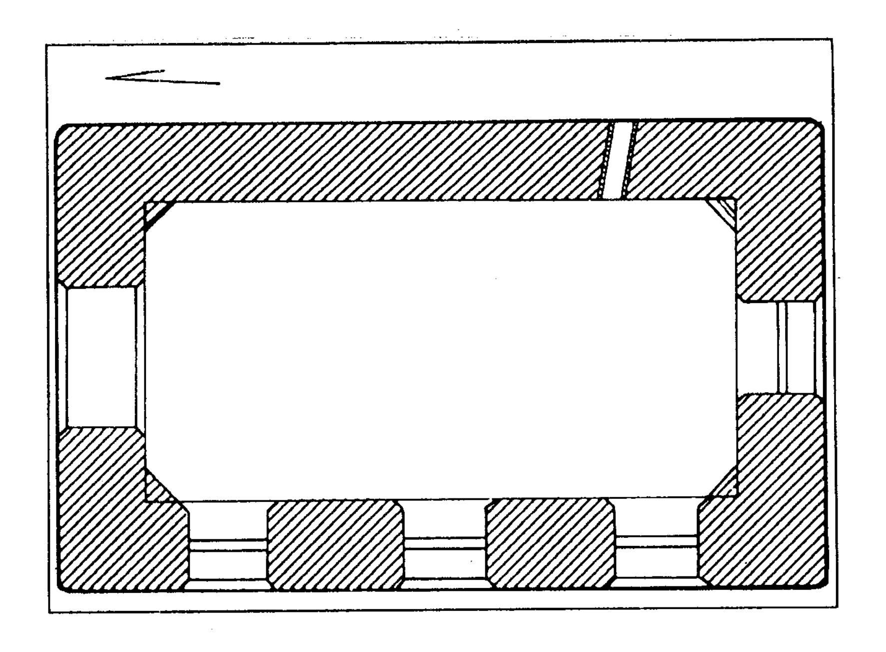
(**شكل ١٤**) تفريغ لرسم المسجد بمخطوط تركي بمتحف طوب قابي سراي في استانبول ويؤرخ بالقرن ١١ هـ / ١٧ م (وما يعنينا هو قبة العباس) .
(عن : رجب) .



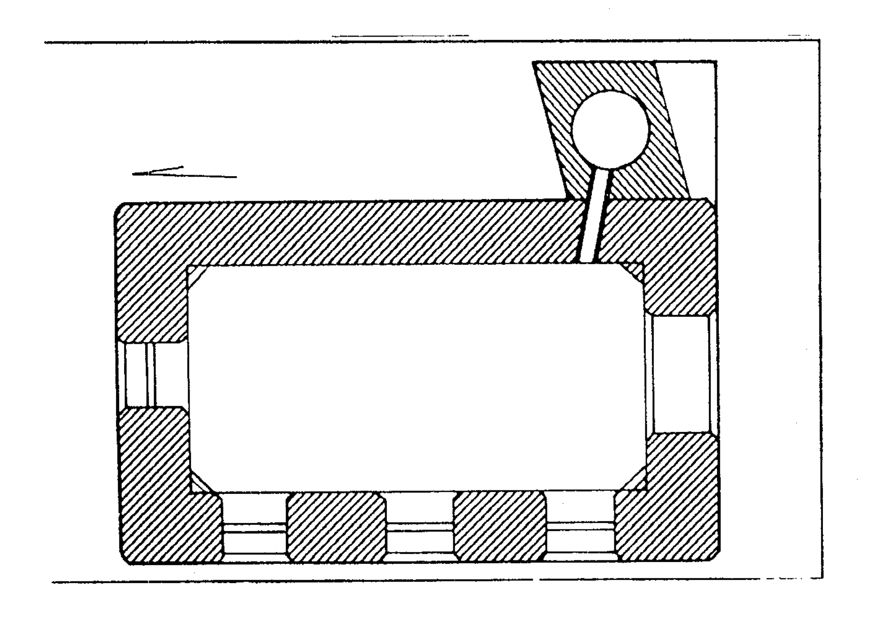
(**شكل ١٥**) خريطة تركية للمسجد الحرام في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٣٠١هـ / ١٨٨٣م) (وما يعنينا هو خلو الخريطة من قبة العباس ، فضلا عن قبة الخزنة لازالتهما في التاريخ المذكور بأمر السلطان) (عن : حرب) .



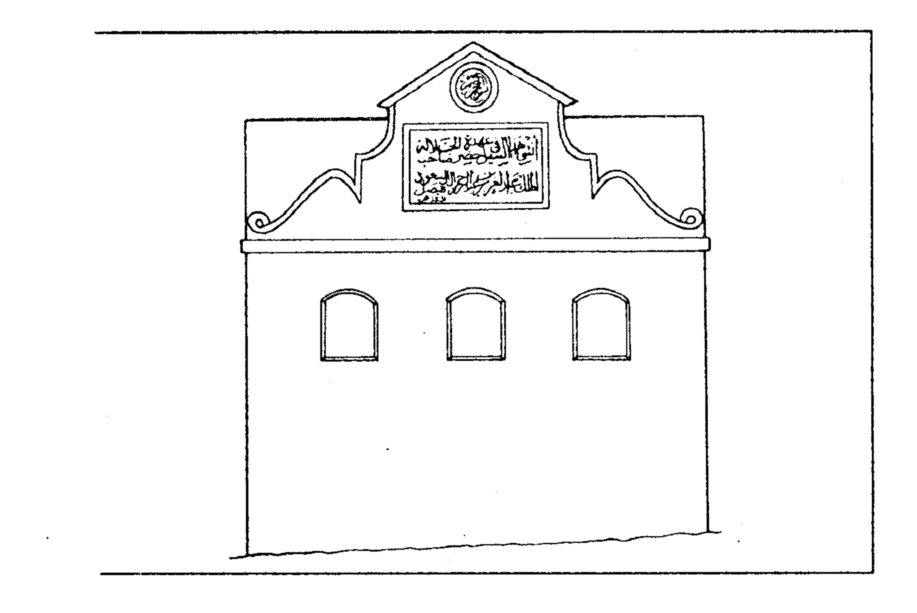
(**شكل ١٦**) مبني زمزم لمحمد صادق باشا ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م (عن : حرب) .



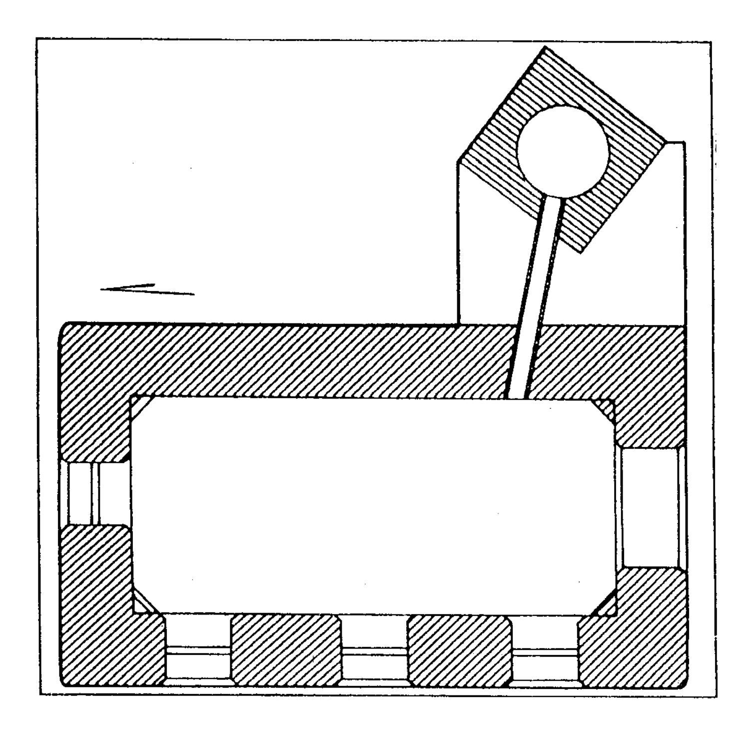
(**شكل ١٧**) سبيل الملك عبد العزيز المعروف بسبيل بئر أم القرون . (عن : غباشي) .



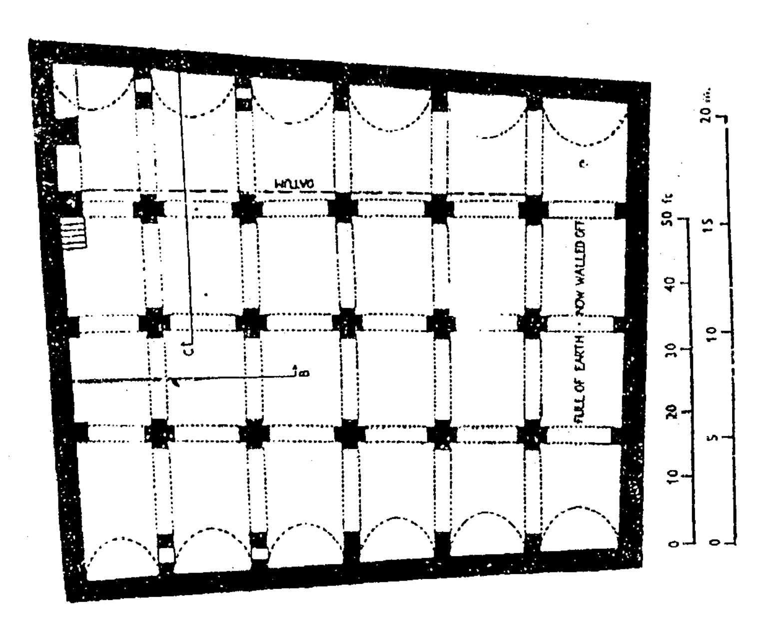
(**شكل ١٨**) سبيل الملك عبد العزيز المعروف بسبيل حداء . (عن : غباشي) .



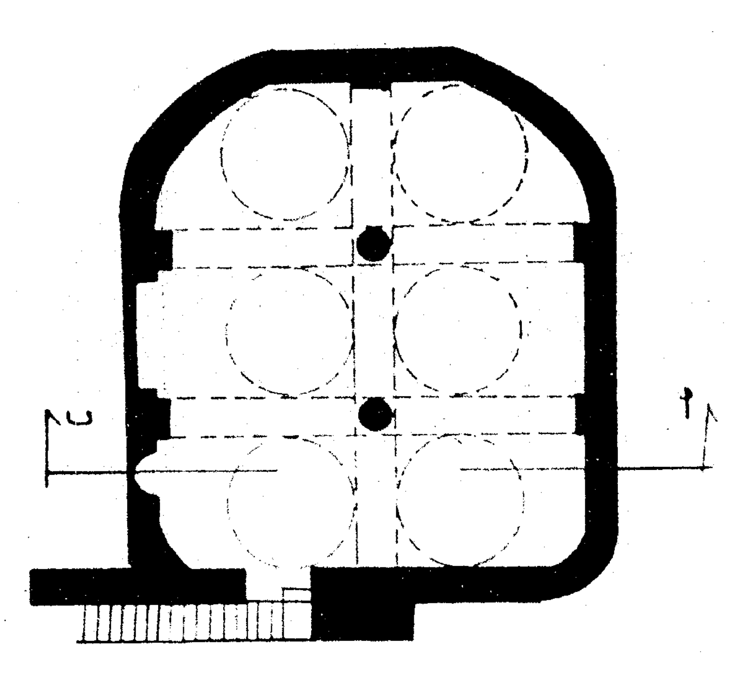
(**شكل ١٩**) الواجهة الغربية لسبيل الملك عبد العزيز المعروف بسبيل حداء . (عن : غباشي) .



(**شكل ٢٠**) سبيل الملك عبد العزيز المعروف بسبيل بئر المقتله . (عن : غباشي) .



(**شكل ٢١**) مسقط أفقي لصهريج الرملة (بئر العنيزية) بفلسطين ١٧٢هـ / ٧٨٨م
(وهو أقدم نموذج مؤكد لعمارة الصهاريج في العمارة الإسلامية) (عن : Creswell) .



(**شكل ٢٢**) مسقط أفقي لصهريج السبيل الملحق بمدرسة السلطان محمود ١١٦٤هـ / ١٧٥٠م
برأس الحبانية من شارع بور سعيد (الخليج المصري سابقاً) بالقاهرة . (عن : الحسيني) .

اللوحات

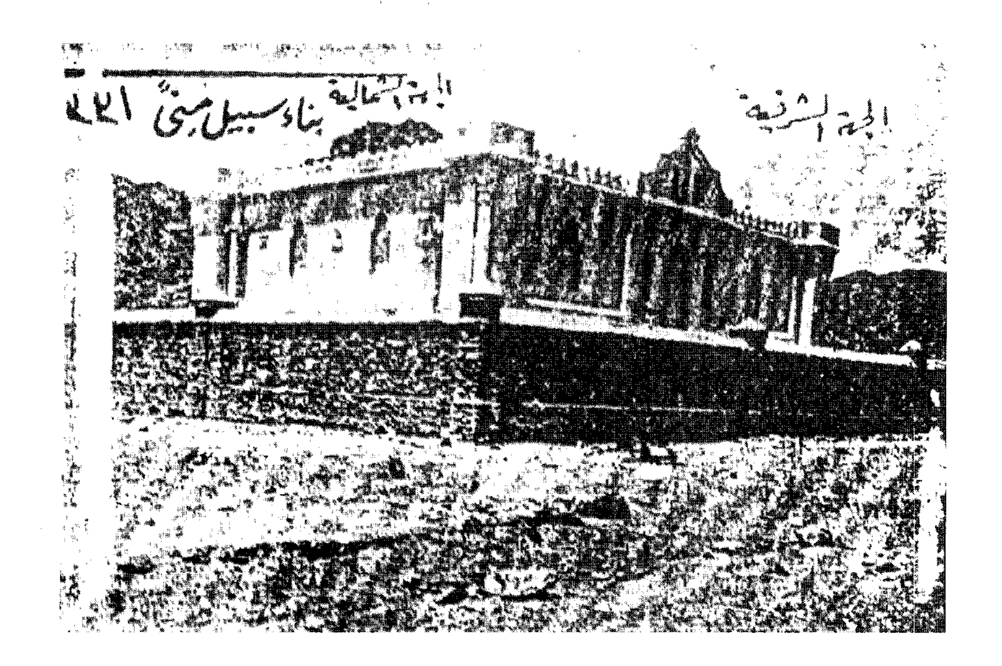




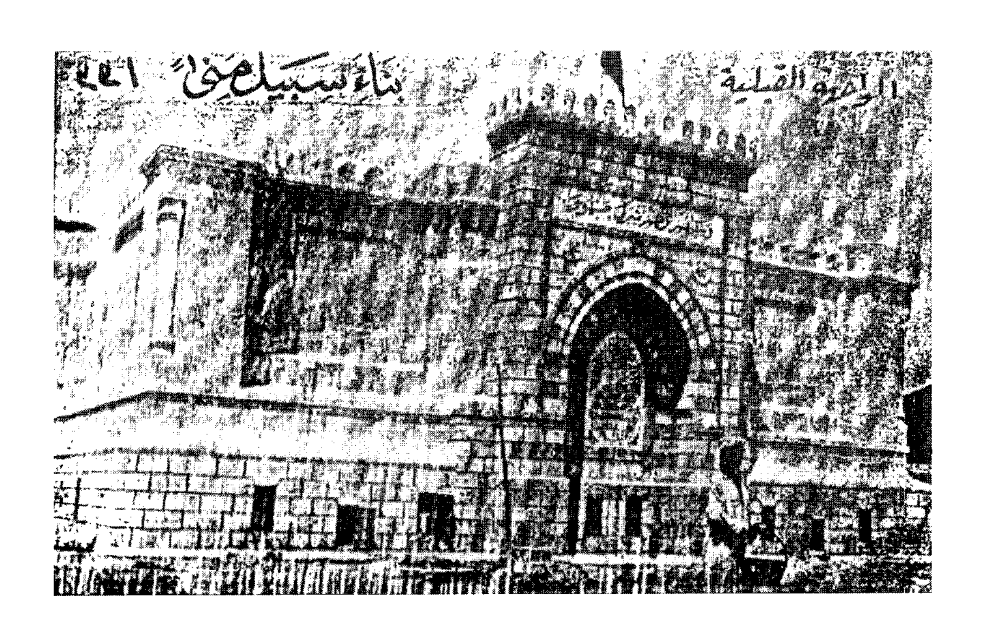
(**لوحة ١**) صورة المسجد الحرام (وما يعنينا هو قبة العباس) في مخطوط لعبد الله خلوصي مؤرخة بسنة ١٢٨٠هـ / ١٨٦٤م محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة (سجل رقم ١٨١٦٩) .
(عن : الباشا) .



(**لوحة ٢**) صورة المسجد الحرام (وما يعنينا هو قبة العباس) في مخطوط لكتاب موفق الخيرات بدار الكتب المصرية . (عن : الباشا) .



(**لوحة ٣**) سبيل منى ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢م . (الواجهتان الشرقية والشمالية) . (عن : رفعت) .



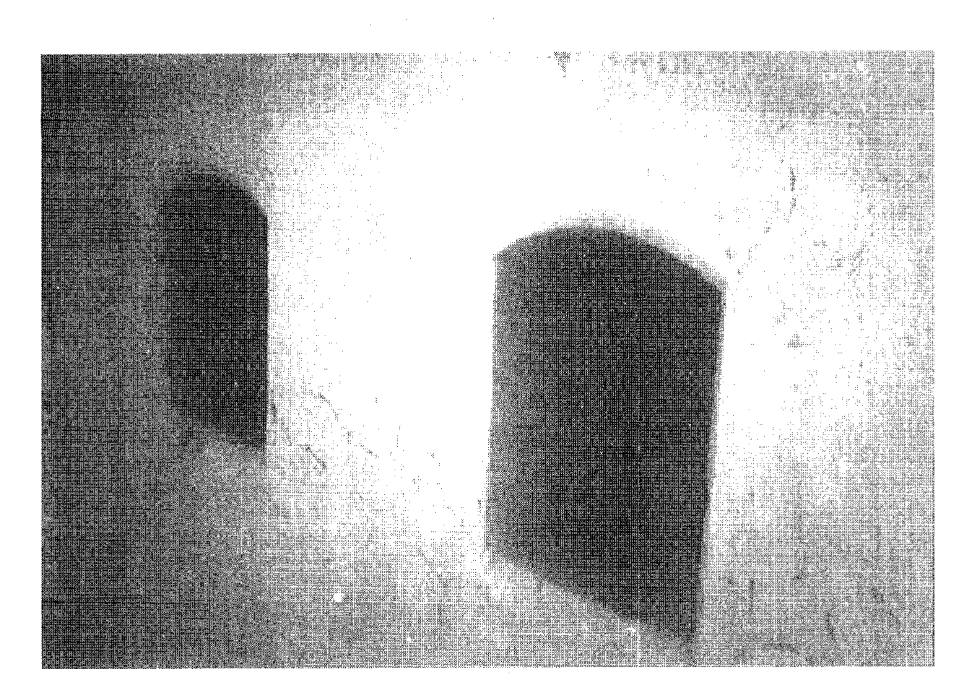
(**لوحة ٤**) سبيل منى ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢م (الواجهة القبلية) . (عن : رفعت) .



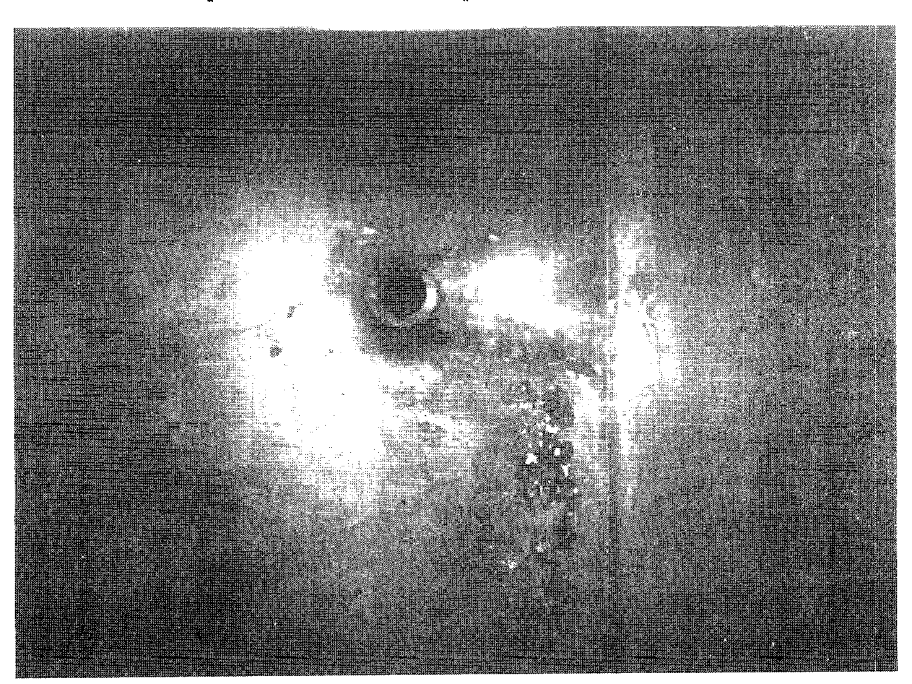
(**لوحة ٥**) الواجهة الغربية لسبيل الملك عبد العزيز المعروف بسبيل بئر أم القرون .
(عن : غباشي) .



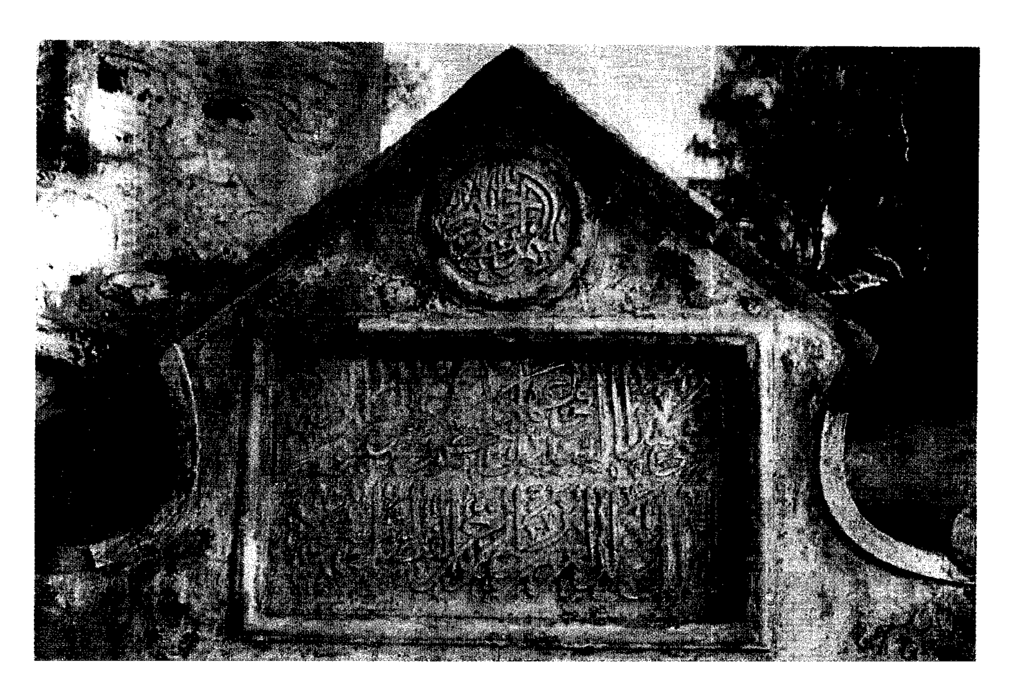
(**لوحة ٦**) الواجهة الغربية لسبيل الملك عبد العزيز المعروف بسبيل حداء . (عن : غباشي) .



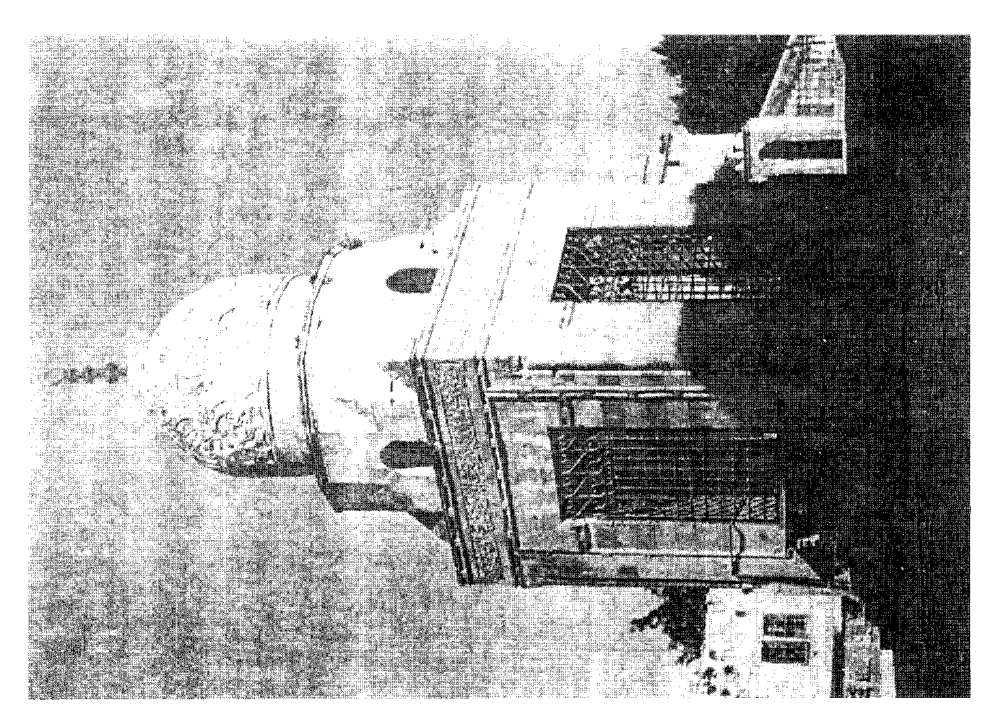
(**لوحة ٧**) فتحات السقيا في سبيل حداء . (عن : غباشي) .



(**لوحة ٨**) قصبة (ماسورة أو أنبوبة) فخارية لنقل المياه من الحوض الخارجي إلى سبيل حداء .
(عن : غباشي) .



(**لوحة ٩**) النقش الإنشائي لسبيل الملك عبد العزيز المعروف بسبيل حداء . (عن : غباشي) .



(**لوحة ١٠**) سبيل قايتباي بالقدس الشريف . (عن : العسلي) .